

يَا رَبُّ، أَفْتَحْ شَفَتَيَّ
فِيخْبِرْ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ

المرشد للصلاة الجزء الأول



اسكندر جديد

يَا رَبُّ، أَفْتَحْ شَفَتِي فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ

الجزء الأول: المرشد للصلاة تأملات في نخبة من المزامير 1 - 67

اسكندر جديد

2010 All rights reserved

الطبعة الأولى 1993

Pub. No. SSB 3201 ARA

English title: Open my Lips that my Mouth May Declare your Praise

German title: Öffne meine Lippen, daß mein Mund deinen Ruhm verkündige

Call of Hope
P.O.Box 10 08 27
70007 Stuttgart
Germany

www.call-of-hope.com
contact-ara@call-of-hope.com

الفهرس

| | |
|---|----|
| المقدمة | ٣ |
| المزمور الأول - السلوك | ٤ |
| المزمور السادس - التوبة | ٥ |
| المزمور الثامن - تاج الخليفة | ٧ |
| المزمور الثالث عشر - اختبار القديسين | ٨ |
| المزمور الرابع عشر - جهل الملحنين | ١٠ |
| المزمور الثامن عشر - نشيد الحمد | ١١ |
| المزمور التاسع عشر - الله في الطبيعة | ١٢ |
| المزمور التاسع عشر - شهادات الرب | ١٤ |
| المزمور الثالث والعشرون - الراعي الإلهي | ١٥ |
| المزمور الثالث والعشرون - تتمة | ١٧ |
| المزمور الخامس والعشرون - صيحة الأسي | ١٩ |
| المزمور الخامس والعشرون - اختبار صلاح الله | ٢١ |
| المزمور السابع والعشرون - الله نور | ٢٣ |
| المزمور السابع والعشرون - تابع | ٢٥ |
| المزمور الثاني والثلاثون - عظة مختبر | ٢٧ |
| المزمور الثاني والثلاثون - تتمة | ٢٨ |
| المزمور الثامن والثلاثون - الانكسار أمام الرب | ٣٠ |
| المزمور الثامن والثلاثون - تتمة | ٣١ |
| المزمور الثاني والأربعون - الاشتياق إلى الله | ٣٣ |
| المزمور الثاني والأربعون - تتمة | ٣٥ |
| المزمور الثالث والأربعون - أفض لي يا رب | ٣٦ |
| المزمور السادس والأربعون - الله ملجأ وقوة | ٣٨ |
| المزمور السادس والأربعون - تتمة | ٣٩ |
| المزمور الخمسون - ذبائح الحمد | ٤١ |
| المزمور الحادي والخمسون - التوبة النصوح | ٤٢ |
| المزمور الحادي والخمسون - تابع | ٤٤ |
| المزمور الحادي والخمسون - تابع | ٤٦ |
| المزمور الثالث والستون - داود في برية يهوذا | ٤٧ |
| المزمور السادس والستون - تسبيحة الله | ٤٩ |
| المزمور السادس والستون - تتمة | ٥١ |
| المزمور السابع والستون - الشكر والبركة | ٥٢ |
| مسابقة: يا رب افتح شفتي | ٥٤ |

وسفر المزامير أيضاً سفر نبوي مجيد، فيه تعبيرات كثيرة وردت لروح المسيح، كمشارك في آلام وأحزان الإنسانية وأفراحها ورجائها.

المقدمة

حينما جُمعت الأسفار المقدسة في كتاب واحد، وُضع سفر المزامير في قلب الكتاب. والجميل أن سفر المزامير يبدأ بتطويب الإنسان الذي يحب الله ويسلك في سبيله المستقيمة، وينتهي بدعوة كل البشر لتسبيح الله في قدسه، بصوت العود والرباب وصنوج التصويت والهُتاف. وقد قال أحد الكتاب في تعليقه على المزامير «قلب الإنسان المؤمن قيثاره في يد الله يوقّع عليها أعذب الألحان». وقال آخر «هذه التسبيحات التي تتخلل سفر المزامير هي تجاوب قلب الإنسان الملهّم مع إعلانات الله في كتب الناموس». فهذا القلب المفعم بحب الله، يستطيع أن يخرج من الفرح والرجاء، كما من الحزن والضيق، أنغاماً عذبة ترفع النفس إلى جبل الشركة مع الله.

تقسم المزامير إلى خمسة كتب، ينتهي كل منها بتسبيحة وتكرار «آمين». ولعل هذا التقسيم الحماسي صمم هكذا، ليأتي متفقاً مع أسفار موسى الخمسة:

١. الكتاب الأول: من مزمور ١-٤١ وهو يوافق سفر التكوين، وموضوعه سقوط الإنسان وعلاجه.
٢. الكتاب الثاني: من مزمور ٤٢-٧٢ يوافق سفر الخروج، وموضوعه خراب الأمة وفداؤها.
٣. الكتاب الثالث: من مزمور ٧٣-٨٩ يوافق سفر اللاويين، وموضوعه القدس.
٤. الكتاب الرابع: من مزمور ٩٠-١٠٦ يوافق سفر العدد، وموضوعه الأرض.
٥. الكتاب الخامس: من مزمور ١٠٧-١٥٠ يوافق سفر التثنية، وموضوعه كلمة الله.

ويرجح علماء الكتاب المقدس أن هذا التقسيم تم في زمن نحemia، والمؤكد أنه كان معمولاً به في الترجمة السبعينية.

وقال أثناسيوس الملقب بالرسولي «باستثناء مزامير النبوات عن المخلص والأمم، يمكن للقارئ أن يرتل كلماتها على أنها كلماته، ويترنم كل إنسان بها كأنها كتبت لفائدته. فهي مرآة تكشف كل أعماله». ونجد في المزامير، لا مجرد انعكاس حالة نفوسنا مع الخطية، بل أيضاً صياغة الكلمات المرافقة التي بها نسبح الرب في كل مناسبات حياتنا.

أما المراجع التي جمعت منها المزامير فيرجح أن تكون المصادر التالية:

وقال أحد الأتقياء «إننا نجد في سفر المزامير مزيجاً رائعاً من الشعر والموسيقى والصلوات، كأسمى ما يستطيع الإنسان أن يعبر به عن عواطف قلبه وأحاسيس نفسه في مختلف الظروف».

- مجموعة داود الأولى: من المزمور ١-٤١.
- مجموعة داود الثانية: من المزمور ٥١-٧٢.
- مجموعة بني قورح الأولى: من المزمور ٤٢-٤٩.
- مجموعة آساف: المزمور ٥٠ و٧٣-٨٣.
- مجموعة بني قورح الثانية: المزامير ٨٤-٨٩.
- مجموعة هلوليا: المزامير ١٠٥-١٠٧، ١١١-١١٨، ١٤٦-١٥٠.
- مجموعة داود الثالثة: المزامير ١٣٨-١٤٥.
- أناشيد متفرقة: المزامير ٩٣، ٩٥-١٠٠.

فما أجمل أن تربض النفس المؤمنة، طويلاً في تلك المراعي الخضراء! ثم تقوم وتتمشى في رحابها المليئة بالأزهار من كل لون. ثم ترد إلى مياه الراحة، التي تحترق تلك المراعي، فتشرب من سواقي الله الملائنة وتروي غليلها.

وتقسم المزامير بحسب مواضيعها إلى ثمانية أقسام:

وإن كانت الأسفار المقدسة التاريخية تقدم لنا الله متكلماً عن الإنسان المخلوق على صورته كشبهه. وإن كانت الأسفار النبوية ترينا الله متكلماً إلى الإنسان، فإن سفر المزامير يقدم لنا الإنسان متكلماً إلى الله، وساكباً نفسه أمام جلاله القدسي، إما بالصلوات والدعاء والتضرع، وإما بالحمد والتسبيح والشكر والثناء على هذا الإله المحب للإنسان.

١. مزامير الحمد والتسبيح: ٨، ١٩، ٢٤، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٩٦، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٧، ١٢١، ١٤٦، ١٥٠.
٢. مزامير الشكر لأجل المرحم: ٩، ١٨، ٢٢، ٣٠، ٤٦، ٤٨، ٦٥، ٩٨.
٣. مزامير التوبة: ٦، ٢٥، ٣٢، ٣٨، ٥١، ١٠٢، ١٣٠.

اسكندر جديد

المزمور الأول - السلوك

أَطْوَبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشْوَرَةِ الْأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخَطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لَكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا. ٣ فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ جُدَاوَلِ الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لَا يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ.

٤ لَيْسَ كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ، لَكِنَّهُمْ كَالْغِصَاةِ الَّتِي تُذَرِّبُهَا الرِّيحُ. ٥ لِذَلِكَ لَا تَقُومُ الْأَشْرَارُ فِي الدِّينِ وَلَا الْخَطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الْأَبْرَارِ. ٦ لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الْأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقَ الْأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ.

(١) في بداية هذا المزمور يبسط داود مراحل سقوط الإنسان. فهذا المنهج الأثيم الذي يسلكه الضالون، يبدأ بمشورة خاطئة، سرعان ما تؤدي بمن يقبلها إلى السلوك بحسب شهوات الغرور، الذي يؤدي إلى طريق الخطية. هذا التدهور الخلقي، صور الرسول يعقوب مراحل المتابعة هكذا «كل واحد يُجَرَّبُ إذا انخدع وانجذب من شهوته. ثم الشهوة، إذا حبلت تلد خطية. والخطية إذا كملت، تنتج موتاً». والمصير بعد ذلك، هو الوقوع في قساوة المستهزئين، الذين يسخرون بما لله، ويرفضون كل ما هو حق أو بر ليعملوا كل نجاسة في الطمع.

سلوك، وقوف، جلوس، مشورة، طريق، مجلس، أشرار، خطاة، مستهزئون. إنها ألوان، تدل على تدرج وتقدم وتأصل في الشر. إنها مراحل، تبدو من خلالها المبادئ الشريرة، والممارسات الشريرة، والزمالة الشريرة.

وما أحرانا بعد أن نرفض الشر، مشورة وسلوكاً وطريقاً ومنهجاً، أن نحيا حياة الله، كما رآها داود نفسه، في سلوك الإنسان المتقي الرب، المسرور جداً بوصاياه. الإنسان الذي يحفظ شهادات الله ومن كل قلبه يطلبه. الإنسان الذي أخضع ضميره لله، وراح يحمد باستقامة قلب، الإنسان الذي زكى طريقه حسب كلام الله، وعاش كما يحق للرب.

٤. مزامير السفر والارتحال، لتقديم العبادة، وتسمى أيضاً ترنيمات المصاعد وهي: ١٢٠، ١٣٤.

٥. مزامير تاريخية، تذكر معاملة الله المستقيمة والرحيمة مع خائفيه الراجين رحمته وهي: ٧٨، ١٠٥، ١٠٦.

٦. مزامير، نبوية ومسيانية، مؤسسة على وعد الله لداود وبيته وهي: ١٦، ٢٢، ٤٠، ٤٥، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٩٧، ١١٠، ١١٨.

٧. مزامير تعليمية وهي أربعة أقسام: (أ) في خصائص الأبرار والأشرار ونصيبتهم وهي: ١، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٤، ٢٥ (ب) مزامير تُشيد بجودة شريعة الله، وهي: ١٩، ١١٩ (ج) مزامير عن بطل حياة الإنسان وهي: ٣٩، ٤٩، ٩٠ (د) مزامير في واجبات الحكام وهي: ٨٢، ١٠١.

٨. مزامير دعاء الخطاة وأكثرها لداود وهي: ٣٥، ٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٩، ١٠٩، ١٣٧.

زمن كتابة المزامير

يتميز سفر المزامير عن سائر الأسفار الإلهية بكونه سفرًا لا يحده زمن واحد. وبأنه ليس سفر تدبير معين، بل هو يحتوي مجموعة ضخمة من التداوير الإلهية التي تحللت كل العصور. ففيه نرى الخليقة في تكوينها. وعهود الاختبار لأجيال البشر، والكهنوت، والملكية.

ويقول علماء الكتاب المقدس إن بذرة الترانيم كانت موجودة منذ بداية تاريخ شعب العهد القديم. فموسى زم، وكذا شعبه وكذا مريم اخته والنساء بدفوف ورقص، بعد عبور البحر الأحمر (خروج ١٥) ورنمت دبورة وباراق على أثر النصر العظيمة على يابين ملك كنعان (قضاة ٥) وأنشدت حنة أم صموئيل النبي عندما أعطها الرب سؤل قلبها (١ صموئيل ٢).

ويرجح أن جمع المزامير يعود إلى النهضات الدينية، في أيام حكم داود وسليمان. وقد حدثت بعض الإضافات في عهود النهضات الدينية على عهد هوشافاط، وحزقيا، ويوشيا.

ليت الرب يباركنا ونحن ندرس هذا السفر المجيد، وينير بوجهه علينا ويقود تأملاتنا وصلواتنا التي نرفعها ونحن في هذا المحراب، الذي هيبته لنا كلام الله المتضمن في هذه التسايح. له المجد والقدرة والسلطان إلى الأبد. آمين.

لَيْسَ كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ
لَأَنَّ رَبِّي عَالِمٌ
أَمَّا أَلْتِي هَالِكَةٌ
كَالْعَصْفِ فِي الرِّيَّاحِ
بِطُرُقِ الْأَشْرَارِ
فَطُرُقِ الْأَشْرَارِ

الصلاة:

يا إلهنا الصالح المحب، نشكرك لأنك إذ رأيتنا في الضلال، منزعين كغنم لا راعي لها، لم تتركنا في ضلالتنا، بل تحننت علينا ورددتنا إلى سبل البر من أجل اسمك القدوس. ونسألك أيها الرب المنعم أن تتحنن على كلِّ ضال، وفقاً لمشيئتك، التي تريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. أرسل نورك على كل نفس في بلادنا، حتى لا يبقى أحد في الظلمة، بل يكون له روح الحياة. آمين.

السؤال:

١ - بماذا شبه كاتب المزامير كلاً من البار والشرير؟

الْمَزْمُورُ السَّادِسُ - التوبة

يَا رَبُّ، لَا تُوَبِّخْنِي بِغَضَبِكَ وَلَا تُؤَدِّبْنِي بِعِظَتِكَ.
٢ أَرْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي ضَعِيفٌ. أَشْفِنِي يَا رَبُّ لِأَنَّ عِظَامِي
قَدْ رَجَفَتْ،^٣ وَنَفْسِي قَدْ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ،
فَحَتَّى مَتَى!

٤ عُدُّ يَا رَبُّ. نَجَّ نَفْسِي. خَلَّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ.
٥ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرٌ. فِي الْهَالِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟
٦ تَعَبْتُ فِي تَنَهْدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سِرِيرِي بِدُمُوعِي.
أَذُوبُ فِرَاشِي. ٧ سَاخَتْ مِنْ أَلْغَمِ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ
مُضَائِقِي.

٨ اُبْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الْإِثْمِ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ
صَوْتَ بُكَائِي. ٩ سَمِعَ الرَّبُّ تَضَرُّعِي. الرَّبُّ يَقْبَلُ صَلَاتِي.

(١ و ٢) منذ آلاف السنين، خرجت هذه الصلاة من شفتي داود. ومنذئذٍ درج العديد من الناس، على ترديدتها. وقد روى التاريخ عن رجال وسيدات، ردّدوا هذه العبارات في أثناء الضيق، وفي غياهب السجون، وعلى فراش المرض، وعلى أعواد المشانق. ولطالما انفرجت شفاه شعراء وفلاحين وملوك عن هذه الطلبة: «يا رب لا توبخني بغضبك، ولا تؤدّبني بغيبك».

(٣) هذا الإنسان شبهه المرئم بشجرة مغروسة عند مجاري المياه. وما أروع من وصف! يُطلق على الإنسان المتقي الرب. لأن الشجرة رمز الجمال والخير. هكذا قال إرميا النبي: «مُبَارَكُ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ وَكَانَ الرَّبُّ مُتَّكِلَهُ، فَإِنَّهُ يَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عَلَى مِيَاهٍ وَعَلَى نَهْرٍ تَمُدُّ أَصُولَهَا، وَلَا تَرَى إِذَا جَاءَ الْحَرُّ، وَيَكُونُ وَرَقُهَا أَخْضَرَ، وَفِي سَنَةِ الْفَحْطِ لَا تَخَافُ، وَلَا تَكْفُ عَنْ الْإِثْمَارِ» (إرميا ١٧: ٧ و ٨).

ويقيناً أنّ الشجرة التي تمتد جذورها على مجاري المياه، لا بد أن تعطي ثماراً جيدة في أوانها. هكذا المؤمن الذي تأصل في كلمة الله. وتأسس في محبة الله، لا بد أن تكون حياته مثمرة. وأن الله يتمجد، ويسر بثماره. بهذا يتمجد أبي، قال المسيح «أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذي». نعم، هذا هو إنسان الله المتأهب لكل عمل صالح. لذلك كل ما يعمله ينجح. فيا أخي العزيز، الهج بناموس الرب، ولا تدعه يرح من فمك. لأنك حينئذٍ تصلح طريقك وحينئذٍ تصلح سيرة حياتك.

لنسر حسب كلام الله، الذي هو الوسيلة الوحيدة لإصلاح حياتنا، وإنجاح طرقنا. قال بولس «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً، بمزامير وتسايج وأغاني روحية، مرنمين في قلوبكم للرب».

(٤-٦) الأشرار متقلقلون في كل طرقهم، تحملهم رياح السوء في كل اتجاه. وتنتهي بهم إلى أهواء الهوان. قد ينجحون في الزمنيات أكثر من الأبرار، لأنهم يقرّون طرق الالتواء لإنجاح أعمالهم. ولكن في حقيقتهم كالتبن لا قيمة لهم. وفي النهاية لا يطيء هلاكهم. إنهم لن يستطيعوا الوقوف أمام رياح دينونة الله، لتبرير أنفسهم. وإن لم يتوبوا، فسيتردون من حضرة الله، كما تظرد الرياح العاصفة عصافة التبن من البيدر.

الترنيمه

طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَمْشِ فِي
مَشُورَةِ الْأَشْرَارِ
مَنْ لَمْ يُجَالِسْ هَازِنًا
بِرَبِّهِ الْقَادِرِ
بَلْ دَائِمًا يَلْهَجُ فِي
نَامُوسِهِ الطَّاهِرِ
فَهُوَ كَعَرْسٍ نَابِتٍ
عَلَى بَحَارِي الْمَاءِ
أَثْمَارُهُ تُجَنِّي كَذَا
أُورَاقُهُ خَضْرَاءُ
وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ
يَكُونُ فِي نَجَاحٍ

لهذا يجب علينا أن نتأكد من أن حزننا على ارتكاب الخطية، ليس مجرد الأسف لافتضاح أمرنا، أو لما أوقعنا فيه الخطية من مشاكل ومتاعب، بل الحزن الذي فتح أعيننا لنرى بشاعة الخطية، ويحملنا بالتالي على التصميم على عدم ارتكابها ثانية، وعلى تكريس بقية حياتنا لعمل مشيئة الله.

(٨ و ٩) هنا نرى المرنم القديس وقد ارتفع فوق مستوى المتاعب، لأن الرب سمع صوت تضرعه، ومال إليه. وهكذا تغيرت ظروفه، واستكانت نفسه، وثبتت حياته على صخرة الاطمئنان، في حضن عناية الله.

لما كانت عيناه مركزة على متاعبه، خيل له أنها مستحيلة التذليل. ولكن إذ تحول عن متاعبه إلى الرب، امتلأت روحه ثقة. كان قلبه قلقاً مضطرباً، بسبب ضعف الإيمان. أما الآن وقد هرع إلى إلهه، فقد بدت له متاعبه هينة.

كم يجب علينا أن نشكر الله لأجل نعمته، المتضمنة في صليب ربنا يسوع المسيح، الذي جسّد لنا محبة الله الغنية بالرحمة، والتي هي أساس اطمئناننا.

الترنيمه

| | |
|-------------------|-----------------|
| يا أيها الأثيم | أقبل إلى ألقادي |
| بدمه الكريم | فالرحمة العظمى |
| قد تحا الأثام | مفتدي الأثام |
| كالثلج في الأغلام | جاعلاً قزمزها |
| يغسل الذنوب | إن دم ألقادي |
| يطهر القلوب | وروحه القدسي |
| صليبه فخري | من مات عن إثمي |
| فموته بري | إذ ليس لي بر |
| يأتي من السماء | ألقاه حينما |
| في قبة أهواء | إليه أرتقي |
| أكون كل حين | في مجده الأعلى |
| بدمه الثمين | إذ قد تحا إثمي |

الصلاة:

أها السيد الرب إلهنا، نعظم اسمك الكريم ونباركك، لأجل رحمتك التي هي لنا كل يوم. نعترف أمامك بمذنبيننا، ونسألك باسم ربنا وشفيعنا يسوع، أن ترحم ضعفنا. وإذا سمحت محبتك بتأديبنا، أن يكون التأديب بعيداً عن غضبك. خلص الجميع من أجل رحمتك، واشفهم من مرض الخطية المتفشي في العالم. آمين.

إنه المزمور المجيد صرخة القلب المنكسر، الطالب خلاص الله وغفرانه، عالماً أن غضب الله لا بد أن يكون له سبب. وكما أن الأب الحكيم لا يربي أولاده بغضبه أو بغيظه بل ينتظر إلى أن تخمد ثورة غضبه، هكذا سأل المرنم التائب الله أبا الرأفة وإله كل تعزية، أن يشفق عليه ويعامله بالرحمة.

(٣) في الآية الثالثة، يبدأ بالشكوى، ولا تلبث شكواه أن تأخذ شكل العتاب: «نفسى قد ارتاعت جداً، فحتى متى؟» وهذا تعبير عن المرارة في عمقها. وعن فقدان الصبر في أقسى حالاته. فإن المعونة التي هو في ميسس الحاجة إليها قد أبطأت. وهو يعلم أن جميع عناصر العون تحت إمرة الله الذي التجأ إليه. لهذا راح يتساءل: حتى متى؟ حتى متى لا تعود إلى الرضى؟ حتى متى تحجب وجهك عني؟

هذه التساؤلات لا تعني ضعفاً في الإيمان، ولكنها تحرك الكيان كله في التوسل واستعطاف الله واستصراخ رحمته. وكان هذا كله للبركة، لأن السؤال الملح هو نوع من الجهاد والجهاد لا بد أن يجد جواباً في نهاية المطاف.

(٤) يكف المرنم عن شكواه، ويتوقف عن ذكر حاجته ومرضه وضعفه، ويستنجد برحمة الله. وقد بنى ملتحمه على أساس إعلان الله عن نفسه في (خروج ٣٤: ٦-٧) «الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الاحسان إلى أوف».

(٥) حين لاح له شبح الموت، راح يتلمس من الله أن يبقيه حياً، لكي يحمده. صحيح أن الحياة بعد الموت، لم تكن واضحة بالنسبة لبيئة داود الدينية، كوضوحها في العصر المسيحي. لأن المسيح بقيامته أثار الحياة والخلود. صحيح أن داود كانت عنده رؤى نبوية، إلا أنه كان ينظر إلى الموت كلعنة الناموس واحتجاب وجه الله.

(٦ و ٧) هنا يفسح داود المجال، لكل انفعالات نفسه وحزنه العميق للظهور. فبكى وتنهّد، بسبب مرارة نفسه، حتى خارت قواه في تنهده. وقد ذكر دموعه كتعبير عن حالة نفسه، في حزنها وتويتها. وأكرم بالحزن إن كان بحسب مشيئة الله! لأنه إذ ذاك «يُشَيُّ تَوْبَةً لِحَلَاصٍ بِلَا نَدَامَةٍ» (٢ كورنثوس ٧: ١٠).

إن الحزن بحسب مشيئة الله، ليس مجرد أسف عابر. وإنما هو حزن شخصي يدرك شناعة الخطية، التي ارتكبتها الإنسان. وينجم عنه كراهية في النفس لكل أعمال الشر.

السؤال:

٢ - كيف كانت حال المرئم، حين نظم هذا المزمور؟

المزمور الثامن - تاج الخليقة

أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَعْجَدَ أَسْمَكَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ،
حَيْثُ جَعَلْتَ جَلَالَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ١ مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ
وَالرُّضْعِ أَسْتَسْتَحْمَدُ بِسَبَبِ أَوْصَادِكَ، لِتَسْكِينِ عَدُوِّ
وَمُنْتَقِمِ.

(٣) رفع المرئم بصره نحو السماء، بما فيها من جلال
ومجد الله، ثم حدق في القمر ذي الأشعة الفضية. وتأمل في
النجوم المتألئة المنتظمة في مداراتها العجيبة والدقيقة. فرأى
في كل هذه عمل أصابع الله. ولم يلبث أن انطلق فمه
بالتسبيح، لهذا الإله العزيز المقتدر، الذي صنع كل شيء
بحكمة.

٣ إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلِ أَصَابِعِكَ، أَلْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
الَّتِي كَوَّنْتَهَا، ٤ فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ
حَتَّى تَفْتَقِدَهُ ١ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبِهَاءٍ
تُكَلِّلُهُ. ٦ تَسْلُطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ
تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ٧ أَلْغَمَ وَالْبَقَرَ جَمِيعاً، وَبِهَائِمَ الْبَرِّ أَيْضاً،
٨ وَأَطْيُورَ السَّمَاءِ، وَسَمَكَ الْبَحْرِ أَلْسَالِكَ فِي سُبُلِ الْمِيَاهِ.

قال جوناثان إدودوز، الذي حُسن أعظم عقل بعد
أرسطو «لقد بدا جلال الله البارح في كل شيء: في
الشمس والقمر والنجوم، وفي الطبيعة كلها. لقد خلقها
لكي يظهر بواسطتها بعض أعجابه وعظمته. فحين نتأمل
الروض النضير والنسيم العليل نرى إحساناته الحلوة، وحين
نرى الزهرة الفواحة، أو الزنبقة الخضراء، التي هي انبثاق
فرحه، وحين نرى الأنهار البلورية المتدفقة، التي هي وقع
أقدامه، والشروق الوردى والشمس اللامعة والغروب
الذهبي وقوس قزح، نرى ظلالاً آتية من مجده».

(١) في المزمور الثاني، نرى المسيح ملكاً وسيداً على
شعبه، أما في هذا المزمور، فنراه كابن إنسان، ملكاً على كل
الأرض. وكل شيء تحت قدميه، فهو السيد رئيس ملوك
الأرض.

نقرأ في سفر التكوين قول الله في بدء الخليقة «نعمل
الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر
وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض»
(تكوين ١: ٢٦) ولكن آدم الأول، الممثل للجنس البشري،
فشل بسبب العصيان، وفقد السيادة على الأرض. أما آدم
الثاني، الذي هو المسيح، فبطاعته أكمل كل بر. وبقيامته
المجيدة، أصبح ممثلاً للجنس البشري الجديد. ويفضل
ذبيحة نفسه، نال كل مؤمن بفدائه الكرامات والأجناد المعينة
للإنسان. فتم القول النبوي: «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ
بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِثْمَ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ
وَمَسْرَةً الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ» (إشعياء ٥٣: ١٠) بمعنى أن
الإنسان في المسيح، يحصل على أكثر مما أضاعه آدم.

(٤) أمام هذه العظمة الفائقة والجلال العظيم، يرى
الإنسان نفسه صغيراً حقيراً، فيصرخ «من هو الإنسان حتى
تذكره، وابن آدم حتى تفتقده؟» هذا الإنسان ما هو؟ وما
هو مقامه في هذا الوجود العظيم الشامل؟ هكذا قال رجل
الله أيوب وهو في غمرة مرارة نفسه «مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى
تَعْتَبِرَهُ؟» (أيوب ٧: ١٧) إنه قاصر ومحدود من أوجه كثيرة.
ومع ذلك فإن الله كلله بالمجد والبهاء، لأنه خلقه على
صورته كشبهه. وفي تطلعاته الى مستقبل الإنسان، عين
فدائه بأعز ما لديه، ابن محبته الذي به سرَّ يسوع المسيح.

وجميل جداً، أن يفتتح المزمور بإعلان سيادة الرب
كالحاكم الأعلى، إذ جعل مجده فوق السموات. بمعنى أن
مجد الله وجلاله لا يسودان على كل الأرض وحسب، بل
أيضاً يشملان السموات. بيد أن نص المزمور، يرينا أن الله
السيد والحاكم الأعلى، قد وكل الإنسان عنه في السيادة على
الخليقة.

هل تدرك الآن قيمة الثمن الذي به اشترك الله لنفسه،
ليجعلك قنية مقدسة؟ إن هذا الامتياز العظيم، الذي خصك
الله به يستلزم أن تقابله بإعطاء حياتك لهذا الرب العظيم
الذي فداك.

لَا يُوجَدُ اسْمٌ فِي السَّمَاءِ
مِثْلُ اسْمِ قَادِيْنَا السَّنِيِّ
فَلَا اسْمَ قَادِيْنَا أَسْجُدُوا
وَسَبِّحُوهُ إِنَّهُ أَلْ
إِذْ كَتَبُوا عُثُونَهُ أَلْ
تِلْكَ الْحُرُوفُ أَظْهَرَتْ
يَسُوعُ فِي عَرْشِ السَّمَاءِ
فَلَنَاتِ نَحْوَهُ إِذَا

وَالْأَرْضُ حُلُو سَامٍ
مُخْلِصِ الْأَنَامِ
لَأَنَّهُ مَجِيدٌ
مُخْلِصِ الْوَحِيدِ
أَسْنَى عَلَى الصَّلِيبِ
لَفْظِ اسْمِهِ الْعَجِيبِ
يَشْفَعُ فِي الْخَطَاةِ
بِالْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ

الصلاة:

أها الرب سيدنا، ما أجد اسمك! سبحانك، اللهم سبحانك! لك المجد والقدرة والسلطان. منك النعمة ومنك الرحمة. اللهم نشكرك من كل القلب، لأجل عنايتك بالإنسان. خلقته على صورتك كشبهك، وتوجهته على مخلوقاتك. وحين عصى شريعتك، لم ترجفه بغيطك، بل دبرت أمر خلاصه. فلك الحمد الدائم بربنا يسوع المسيح. آمين.

السؤال:

٣ - ما هي الامتيازات التي خص الله بها الإنسان؟

المزمور الثالث عشر - اختبار القديسين

إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النَّسِيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ
وَجْهَكَ عَنِّي! ٢ إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُومًا فِي نَفْسِي وَحَزْنًا فِي
قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ! إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ! ٣ أَنْظُرْ
وَأَسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلَهِي. أَنْزِعْ عَيْنِي لِنَلَا أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ،
لِنَلَا يَقُولَ عَدُوِّي: «قَدْ قَوِيْتُ عَلَيْهِ». لِنَلَا يَهْتَفَ مُضَابِقِي
بِأَنِّي تَزَعَزَعْتُ.

٥ أَمَا أَنَا فَعَلَى رَهْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي
بِخِلَاصِكَ.

هذا المزمور كله، يعبر عن اختبار القديسين، خلال مرورهم في الضيقات. انهم يخرجون من وادي الموت وظلاله إلى ضوء شمس البر. وقد عرف بالاختبار فعلا، أن المؤمن يخرج من الضيقات والمحن، محص الإيمان، قوي الرجاء شديد المحبة.

(١) في بدء المزمور، يسمعنا داود صرخة مؤمن متضايق، يستنجد بإلهه. ويقول ثقات المفسرين، إن داود كتب هذا

(٥) إن ابن الإنسان، الذي اختاره الله لنفسه، حين أخلى نفسه طوعاً للتجسد، تراءى وكأنه انقص من الملائكة. وهذا كما يعلمنا الكتاب المقدس، لكي يذوق الموت، فداءً عن الإنسان. لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. بهذا أتى بالمجد والبهاء، اللذين قصد الله أن يكلله بهما، إكراماً لطاعته وتواضعه، اللذين ذهبا به إلى وضع النفس. هذه الحقيقة أعلنت لنا في بولس، حين كتب لنا مسوقاً بالروح القدس: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعِ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي أَهْلِيَّةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ حَتَّى الْمَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَحْجُو بِاسْمِ يَسُوعِ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ» (فيلبي ٢: ٥-١١).

(٦) أجل، إن سيادة الإنسان الأول، التي فقدها، بسبب العصيان، عادت وتحققت بالمسيح يسوع، الذي فدى الإنسان من الخطية، وحرره من عبوديتها. وبذلك أعطاه امتياز القدوم إلى الآب، قديساً وبلا لوم في المحبة. بمعنى أن الإنسان أصبح في عمانوئيل ذا قيمة كبرى، لأن الله فداه بابنه الوحيد.

(٧ و ٨) نرى كاتب المزمور بطبيعة الحال يهتم بالأرضيات. فالغنم والبقر، تشير إلى الحيوانات الأليفة. وهائم الأرض، تحدثنا عن الحيوانات البرية. ثم سمك البحر وطيور السماء، تحدثنا عن مكانين في الخليقة. السماء فوق، ومن تحتها سبل المياه. ففيما يتعلق بأعلى، يشير إلى أن ملائكة الله تخدم بسرور ابن الإنسان. وفيما يتعلق بأسفل، نقرأ، أن في يد سيدنا وفادينا يسوع مفاتيح الهاوية والموت (رؤيا ١: ١٨) وأنه ليلذ لنا أن نتأمل في الكلمة الرسولية، القائلة: أن الله أظهر قدرته الفائقة نحونا في المسيح «إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنِ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَّاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطَّ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِبَاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلءُ الَّذِي يَمَلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أفسس ١: ٢٠-٢٣).

الترنيمة

والظلام. وهذا يتيح لعدوي أن يشمت بي، الأمر الذي ألتمس أن تجنبني إياه.

(5) في ختام المزمور، يكف داود عن الشكوى. لأن الظلال المخيفة أمتحت، وأطلت عليه شمس البر والشفاء في أجنحتها. فتزكى عنده الإيمان، وراح يعتمد على رحمة الله. والإيمان المعتمد على رحمة الله، يقابل بخلص الله. وخلص الله، يبهج النفس. ومما لا ريب فيه، هو أن الصلاة التي رفعها داود في الآية الثالثة، قد أنعشت إيمانه، وزادت رجاءه قوة، ومحبه لله اشتعالاً.

صل يا أخي، فالصلاة هي الأجنحة، التي تحملنا، وترتفع بنا من أجواء اليأس المعتمة، إلى جو الرجاء المشرق بأنوار يسوع، كوكب الصبح المنير. وبالصلاة يتسع ميدان إيماننا فيعمل ويقدر كثيراً في فعله.

صل بالصلاة تستصرخ قلب الله، فيأتيك العون سريعاً من لدنه. وبذلك يتمجد اسم الفادي الرب، الذي قال: ينبغي أن يصل كل حين ولا يمل... صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة.

الترنيمه

لَا تَغْضَّ أَلْطَرْفَ عَيْنِي
أَعْطِنِي حِينَ أَصَلِّي
يَا مُنْجِي يَا مُنْجِي
تَعْرُكَ أَلْبَسَامُ يَسْفِي
سَائِلٌ نَعْمَاكَ يَلْقَى
مِنْ لَدُنْ عَرْشِكَ حَالاً
إِنَّمَا جُلُّ مُرَادِي
فَأَشْفِ جُرْجِي بِأَلْحُشَا
أَنْتَ يَا نَبْعَ سُورِي
أَنْتَ لِي خَيْرُ نَصِيبِ
أَهْمَا أَلْفَادِي
نُورَ إِرْشَادِي
أَنْتَ سُلْوَانِي
ضَعْفَ إِيْمَانِي
يَا أَبَا الرَّحْمَةِ
وَإِفْرَ النَّعْمَةِ
وَجَهْلِكَ الْوَضَاحِ
يَا مُنْبِيَةَ الْأَرْوَاحِ
مَعْدِنَ الْأَلْطَافِ
يَا سِنِي الْأَوْصَافِ

الصلاة:

أهها الآب، رب السماء. نشكرك لأجل لطفك المحيط بنا. علمنا أن نلجأ إليك، في وقت الضيق. شدد إيماننا، لنتق في عنايتك أهها الرحوم. لا تغض الطرف عنا، بل انظر إلينا نظرة الآب المتراف، الذي يحنو ويرحم. لا تسمح لنا بأن نستمر في الشكوى والأنين، بل اهتمنا أن نضع كل صعوباتنا وأحزاننا عند قاعدة صليب ابن محبتك. ولك منا الشكر الدائم. آمين.

المزمور حين كان الملك شاول بن قيس يطارده، طالباً نفسه. ومع أنه كان يواجه خطر الموت، إلا أنه لم ييأس. لأن ثقته في عناية الله الحافظة، لم تفارق قلبه. ولكن صرخته هذه ندت عن قلب موحش محطم، لا يرى له خلاصاً من ضيقه المزمّن، إلا بتسليم ذاته كاملاً إلى إلهه. ولكن صرخته ارتفعت في تساؤل مفعم بالاستغراب، كيف أن الرب حافظ الأمانة ينسائه، ويجب وجهه عنه، ويغفل عن حاجة قلبه؟

(2) وفي غمرة حيرته، تساءل المرنم: إلى متى يحمل الهموم في نفسه، إلى جانب أحزان قلبه؟ الإم يرسم الحطة بعد الحطة، لرفع يد العدو عنه، وتبوء كل خططه بالفشل؟ الأمر الذي يزيد في إكداره. ولعله تساءل أكثر من مرة، لماذا يبقيه الله عرضة لمكايد شاول الملك، الذي لم يكن الله راضياً عنه؟ كيف يرضى رب العدل بانتصار هذا الملك الظلوم عليه، هو الملك المسوح من الله؟

إن صرخة داود الداوية، هي صرخة كل قديس متوجع في كل جيل. يطلقها في غمرة الضيق، الذي لازم مختاري الله، خلال أيام غربتهم في هذا العالم. لأنه كما قال رسول الأمم بولس «قَدْ وَهَبَ لَكُمْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ لَا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطُّ، بَلْ أَيْضاً أَنْ تَتَأَلَّمُوا لِأَجْلِهِ» (فيلبي 1: 29) وليس للمؤمن في مثل هذه الحال، إلا قبول ما سمح به الله، كعطية محبوبة من يده الكريمة. وعندئذ يسكب الله تعزياته بالروح القدس في قلبه، فيتقوى على احتمال المشقات، ويعرف المسيح في شركة آلامه وقوة قيامته.

(3 و 4) بعد التساؤلات، من نوع كيف ولماذا؟ لا يلبث داود أن يتشدد قلبه ويتشجع. لأن النفس، في انكسارها عند قدمي الرب، تجدد قوة، وينتعث إيمانها، فتتمسك بالله وحده. وقد عرف بالاختبار أن اليأس من جدوى المحاولات البشرية يجعل الرب لنا كل شيء. وهذا هو الدرس، الذي تعلمه داود، فبدلاً من صرخته الحزينة، استصرخ الرب الإله قائلاً: «انظر استجب لي».

هذا مثال حري بك أن تتبعه يا أخي الكريم. تمثل بداود، وكف عن محاولاتك الشخصية. وسلم للرب أمورك، كل أمورك. وهو يخرج مثل النور برك، وحقق مثل الظهيرة.

طلب داود من الله أن ينير ذهنه، حتى يستطيع بأشعة الإيمان المتكل على الله، أن يسلك بحكمة ويتغلب على نوم الموت. لكأنه يقول: إن لم تكن معي يا رب، فأنا في الموت

السؤال:

٤ - عمّ يعبر المزمور الثالث عشر، وماذا تناولت تساؤلات داود؟

مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلَا فَهْمٍ وَلَا عَهْدٍ وَلَا حُتُوٍ وَلَا رِضَى وَلَا رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللَّهِ أَنْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لَا يَقْعَلُونَهَا فَقَطُّ، بَلْ أَيْضًا يُسْرُونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ» (رومية ١: ٢٩-٣٢).

الْمَزْمُورُ الرَّابِعُ عَشَرَ - جهل الملحدين

والعجيب في مفكري هذا الدهر، أنهم يحسبون المؤمنين بالله جهلة أغبياء، لسبب وحيد هو أنهم لا يشتركون معهم في الشهوات وإدمان الخمر والبطر. وقد أشار الرسول بطرس إلى هذا الأمر، إذ قال «يَسْتَعْرِبُونَ أَنْكُمْ لَسْتُمْ تَرْكُضُونَ مَعَهُمْ إِلَى فَيْضِ هَذِهِ الْخَلَاعَةِ عَيْنِهَا، مُجَدِّفِينَ» (١ بطرس ٤: ٤).

. فَسَدُوا وَرَجَسُوا «لَيْسَ إِلَهٌ» أَقَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا. ٢ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللَّهِ؟ ٣ أَلْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ.

(٢) مساكين هؤلاء المتغابون، لأنهم بسبب انكبابهم على الشهوات الرديئة أظلمت قلوبهم، فسوا أن الله يعرف هذه الحالة السيئة التي صاروا إليها. والتي رسمت هلاكهم إن لم يتوبوا. لأنه يشرف على جميع البشر، ويعلم سرائرهم وما تكنه صدورهم.

في العهد الجديد، أطل القدير على الدنيا في عمانوئيل، وصار الله معنا. وبعد أن صنع بنفسه فداءً لشعبه، صعد إلى السماء. وأرسل روحه القدوس، ليكون مع الجيل البار المولودين من الله، ويمكث معهم ويكون فيهم. وحيث يمكث روح المسيح، تسكن المعرفة، وينتفي الجهل. وعلى ضوء المعرفة النازلة من فوق، تظهر جهالة أديعاء الفلسفة، من كفرة وملحدين.

والرب نفسه يقدم شهادته عن شر الإنسان، إذ نقرأ في كتابه العزيز «وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ» (تكوين ٦: ٥-٦) إن هذا التعبير عن حزن الرب، هو مجرد تعبير بلغة البشر، يبين أن موقف الله بالنسبة للإنسان الأثيم، لا بد أن يختلف عن موقفه بالنسبة للإنسان المطيع.

(١) يستهل داود هذا المزمور بوصف الكفرة، الذين لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم. فينعتهم بالجهل، والجاهل في إصطلاح الكتاب المقدس هو الأحمق، الذي انحرف أديباً. ولعل أكثر النعوت انطباقاً على هؤلاء، ما جاء على لسان رسول الأمم بولس، إذ قال «لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَالِهٍ، بَلْ حَقَّقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْعَبِيِّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءَ» (رومية ١: ٢١ و٢٢).

ومع أنه له المجد، يعرف قلوب الناس معرفة تامة، فإنه يلاحظ تصرفات الناس. وإذا يتطلع من السماء، يراقب كل نفس بشرية، ليرى هل يوجد من يفهم حقيقة نفسه؟ هل يصحو أحدهم من ثبات نوم الموت، ويرى ما وصلت إليه حاله من سوء وتعاسة، بسبب انحرافه عن الله؟ هل يوجد من يتحرر من إثم الخطية ولعننتها، ليطلب الله؟

ويقيناً أنه لجاهل وأحمق، هذا الذي ينكر وجود الله «لأنَّ مُنْذُ خَلَقَ الْعَالَمَ تَرَى أُمُورَهُ غَيْرَ الْمُنْظُورَةِ وَقُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلَا هَوْتَهُ مُدْرَكَةَ بِالْمُضْنُوعَاتِ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ» (رومية ١: ٢٠).

(٣) الكل زاغوا عن الله، وحادوا عن وصاياهم فوق فسادهم خلقياً. إلى درجة أنهم لا يستطيعون أن يعملوا صلاحاً. إنهم وبكل أسف، لم يطلبوا الله. ولم يكتروا به، بل زاغوا عنه ففسدوا. أنتنوا روحياً، وأنتنوا أديباً. وتراكضوا وراء شهواتهم الرديئة. هذه حالة الناس منذ السقوط، إن شرهم في ازدياد جيل بعد جيل. والله نفسه، هو الشاهد لأنه فاحص القلوب والكلى.

وهذا الإقرار الجاحد، ليس مجرد إنكار نظري لوجود الله، بل كفر عملي. كأن القائلين به يتصرفون، كما لو لم يكن هناك إله. أمثال هؤلاء يعيشون، ولا تفكير لهم إلا في الأرضيات. إنهم أرضيون، ومن الأرض يتكلمون. لقد تحولوا عن الله، وراحوا يعيثون في الأرض فساداً. وقد وصفتهم الكلمة الرسولية: «مَمْلُؤِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرًّا وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسِداً وَقَتلاً وَخِصَاماً وَمَكْرًا وَسُوءاً، نَمَامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ لِلَّهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَطِّمِينَ مُدْعِينَ»

وَصَرَاحِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنِيهِ. ٧ فَارْتَجَّتِ الْأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ
أُسُسُ الْجِبَالِ. ارْتَعَدْتُ وَارْتَجَّتْ لِأَنَّهُ غَضِبَ.

هذا المزمور يكشف جانباً من اختبارات داود، التي مر بها خلال السنين القاتمة، يوم كان شاول يطارده. وهذا المزمور موجود بكامل نصه تقريباً في صموئيل الثاني الأصحاح الثاني والعشرين، منسوباً أيضاً لداود.

(١) يستهل المزمون هذا المزمور بالتسبيح، فهو بحق نشيد حمد وتعظيم الله الحي. ويطلق المزمون تسبيحته من قلب، معترف لله بجميله. ويقابل عنايته القوية التي خلصته بمحبة عميقة، تتناسب مع جودة الله وإحساناته. ويقر بأن ما يتمتع به من قوى معنوية وأدبية وروحية تعينه على الثبات، هي من الله. ولذلك هو يحبه بشدة.

(٢) يشيد النبي الملهم بعظمة الإله الحي، ويعبر عن ثقته فيه بستة ألقاب، كلها تظهر قوته:

١. صخرة: فالرب غير متزعزع ولا متغير. لذلك يمكن الركون إليه، ويليق به أن يلقب بصخرة الإيمان. والكلمة في اللغة التي كتبت بها المزامير، تعني شق صخرة وهي ترمز إلى الارتفاع والمناعة والقوة والثبات.
٢. حصن: والحصن هو المعقل الأمين، الذي يحتبئ فيه الإنسان ليكون في مأمن من أعدائه. فאלله معقل لكل قديسه، المحتمين به في كل الأجيال. وبهذا المعنى، يكتب الرسول لمؤمني فيلبي «وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (فيلبي ٤: ٧).
٣. المنقذ: ينقذ أتقياءه من الخطر المحدق بهم، حين تعجز كل الوسائل عن انقاذهم. هذا ما عرفه داود بالاختبار فكتب في مزموره الحادي والثلاثين «أما أنا فممسكين وبائس. الرب يهتم بي، عوني ومنقذي أنت».
٤. ترس: والترس للدفاع والحماية. يرد ضربات العدو، ويحمي المقاتل من سهامه. وهنيئاً لمن جعل الرب حامياً له، فإنه لا يتزعزع.
٥. قرن خلاص: أو قوة خلاص للهجوم على العدو، والانتصار عليه. تسلح بالرب يا أخي ضد عدو النفوس الغاشم فينهزم.
٦. ملجأ: والملجأ هو المعقل المبني على المرتفع، بحيث لا يستطيع العدو أن يصل إليه. الله ملجأ لنا وقوة، قال المزمون في مزمور آخر. وبما أن الله ملجأنا فلا نخاف مهما كانت الحال سيئة والظروف معاكسة.

ولكن حتى في وجود حالة مخيفة كهذه، فللعالم تعزية وخلص من حالته المتردية. فإن وجد من يفهم ويطلب الله، يجد نعمة الله المخلصة، التي تعلم الناس، أن ينكروا الفجور والشهوات العالمية. ويعيشوا بالتعقل والبر والتقوى (تيطس ٢: ١٣) هذه النعمة أعطيت بالمسيح يسوع، الذي فيه صار الله طالب الإنسان. فشكراً لله الذي جاء في المسيح، لكي يطلب ويخلص ما قد هلك.

الترنيمه

| | |
|--|--|
| كُنْتُ فِي الدُّنْيَا أَهِيمٌ وَجْهَ فَادِي الْكَرِيمِ كَوَكَبِ الْحَبِّ الْعَجِيبِ ذَلِكَ الْفَادِي الْحَبِيبِ يَأْساً مِنْ ذَا الْوُجُودِ فَاتِحاً بَابَ الْخُلُودِ لِحِمَى الرَّاعِي الْأَمِينِ كَيْ نَعِينِ الْبَائِسِينَ وَقَوَائِي وَالْحَيَاةِ وَهَدَانِي لِلْإِلَهِ | سَالِكاً سُبُلَ الضَّلَالِ فَبَدَأَ لِي فِي الْأَعَالِي سَبِّحُوا فَادِي الْأَنَامِ سَبِّحُوا عَلَي الدَّوَامِ مُتَّقِلًا كُنْتُ بِضَعْفِي فَدَنَا مِنِّي بِلُطْفِ قَالَ ادْخُلْ بِسَلَامٍ وَمَعِي سِرِّي فِي الْأَنَامِ فَلَهُ أَشْكَبُ قَلْبِي حُبَّهُ أَضْرَمَ فِيَّ |
|--|--|

الصلاة:

أبها الرب العلي الحاضر في كل مكان، والقادر على كل شيء. لك يسجد القديسون، وإياك تعبد الملائكة. اللهم اغفر لنا غفلتنا وفتور محبتنا. اللهم زدنا اقتراباً منك. اللهم زد إيماننا. اللهم اسكب علينا روح الصلاة، وعلمنا أن نصلي. زد محبتنا بعضنا لبعض، كما أحبنا المسيح. اللهم انشر سلامك في ربوعنا. هذا نطلبه باسم فادينا يسوع. آمين.

السؤال:

٥ - ما هو الوصف الذي أطلقه المزمون على الكفرة؟

المزمور الثامن عشر - نشيد الحمد

أَحْبَبَكَ يَا رَبُّ يَا قُوِّي. ٢ أَلرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي
وَمُنْقِذِي. إِلَهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلَاصِي
وَمَلْجَأِي. ٣ ادْعُوا الرَّبَّ أَحْمِيدَ فَاتَّخِذْ مِنْ أَعْدَائِي.
٤ اِكْتَنَفْتَنِي جِبَالُ الْمَوْتِ، وَسَيُولُ الْهَالِكِ أَفْرَعْتَنِي. ٥ حِبَالُ
الْهَوَايَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ أَنْتَشَبَتْ بِي. ٦ فِي ضَيْقِي
دَعَوْتُ الرَّبَّ وَإِلَى إِلَهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي،

طَرِيقُ إِلَهٍ أَعْلَى كَامِلٌ
وَلَيْسَ إِلَهٌ لَنَا غَيْرُهُ
إِلَهٌ يُمَطِّقُنِي بِالْقُوَى
وَيَرَفَعُنِي فَوْقَ أَعْلَى الدُّرَى
لِذَلِكَ أَحْمَدُهُ إِنَّهُ
خَلَاصٌ لِكُلِّ بَنِي شَعْبِهِ

وَقَوْلُ إِلَهٍ شَرِيفٌ نَقِيٌّ
سِلَاحٌ وَتَرَسٌ بِهِ نَتَّقِي
وَيَجْعَلُ طَرْقِي مِنَ الْكَمَلِ
وَيَجْعَلُ رَجُلِي كَالْإِيْلِ
خَلَاصٌ مَسِيحٌ لَهُ يُعْتَمَدُ
يَنَالُونَ رَحْمَتَهُ لِلْأَبَدِ

الصلاة:

أما الرب القدوس الصالح. نشكرك لأجل محبتك، التي سكتها في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا. لأننا بهذه المحبة نستطيع أن نحبك من كل قلوبنا ومن كل فكرنا ومن كل قدرتنا. وأن نحب قريبنا كنفسنا، وأن نحب عدونا كقربينا. نسألك باسم ربنا يسوع المسيح، شفيعنا أمامك، أن تشيع هذه المحبة في قلوب جميع الناس، لكي يبنذوا الخصومات لأجل الأشياء الفانية. علم الجميع أن يلجأوا إليك لحل كل المشاكل والصعوبات، باسم ربنا ومخلصنا يسوع نسأل هذا. آمين

السؤال:

٦ - ماذا تتعلم من اختبارات داود التي أشار إليها في هذا القسم من المزمور ١٨؟

الْمَزْمُورُ التَّاسِعُ عَشَرَ - الله في الطبيعة

١ السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَأَلْفَلِكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. ٢ يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذَبِّحُ كَلَامًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. ٣ لَا قَوْلٌ وَلَا كَلَامٌ. لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. ٤ فِي كُلِّ أَرْضٍ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. ٥ جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْعُرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِّجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسَّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ. ٦ مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقْصَاهَا، وَلَا شَيْءٍ يَحْتَفِي مِنْ حَرِّهَا.

يبدو ان داود في أثناء تمرسه برعاية القطعان، قد درس سفر الطبيعة إلى جانب سفر الشريعة. وكان في كليهما تدريب عميق لنفسه. فقد رأى جلال الله وعظمته في الكواكب، التي ترصع السماء. ورأى حكمة الخالق في مدارات الكواكب بنظامها العجيب، الذي يدل على قدرة الرب الإله.

(٣) هذا هو الرب الذي به يليق الحمد والتسبيح. وإليه يلتجئ المضطر والبائس والمطارد، لينال الخلاص. هذه التعبيرات في مدلولها القوي، تظهر مدى اتكال داود على إلهه، الذي اختبر رحمته، ووثق فيه. فهل لك مثل هذا الاختبار، أها المصلي طالب الله؟ هل تستطيع أن تقول مع إمام المرمنين: إن الرب الذي دعوته في ضيقي، وصرخت إليه في صلواتي، قد أنقذني من البلايا. لذلك سأظل أطلبه، وأدعوه بالحمد وتساييح الفرح؟

(٤ و ٥) يحدثنا داود عن اختبار قاس، مرت فيه نفسه. كان شاول قد أمر عبيده بقتل داود، فقال في قلبه: إني سأهلك يوماً بيد شاول (١ صموئيل ١٩: ١، ٢١: ١) فمن هنا يصور الموت كصياد، ينصب شبكه لاقتناص الفريسة، فتصور الموت، في أربع وجوهه.

وأنت يا أخي، هل تخاف الموت؟ يمكنك أن تتخلص من هذا الخوف بلجوك إلى الرب يسوع الذي في يده مفاتيح الموت والهاوية، والذي أعطى كل الذين قبلوه القوة على مواجهة الموت بكل فرح. وبالحق فإن الموت بالنسبة لمفدي يسوع، ليس سوى خادم ينقلهم من دار الفناء إلى دار البقاء فدعه إذن يعمل ما يشاء، فأنت بالمسيح قد انتقلت من الموت إلى الحياة.

(٦) نتعلم من اختبار داود، أن الصلاة هي المفتاح الوحيد، الذي يفتح السماء بكفاية ربنا يسوع وشفاعته. إنها وسيلة اتصالنا بالله، واتصال الله بنا في كل حين وفي كل الظروف والأحوال. وكما سمع الرب صراخ داود من هيكل قدسه. هكذا يسمع تضرعات كل المؤمنين. كما أن قيثارات السماء وتسبيحات الملائكة، لا تمنع وصول صلواتنا إلى أذني رب الجنود.

(٧) تحدثنا الآية السابعة عن تدخل الله بقوته لإنقاذ فتاه، الذي استصرخ قلبه الإلهي. فارتجاج الأرض وارتعاش الجبال هنا، يشير إلى تحرك الله لإنقاذ تقيه. هي عبارات استعارية، صور بها الكاتب قدرة الله على خلاصه وتدمير أعدائه.

الترنيمه

أُحِبُّكَ يَا رَبُّ يَا قُوَّتِي
فَإِنَّكَ حِصْنٌ بِهِ أُحْتَجِبُ
حِبَالُ أَهْوَايَا قَدْ أَحْتَضِنُ بِهَا
وَفَخُّ الْمَنَائِمِ أَمَامِي نُصِبُ

أموره، ومنطقها امتد إلى أقصى الأرض بحيث لا يوجد إنسان لم تصله شهادتها.

لقد ركز المرئم على الشمس بصورة خاصة، ووصف عملها الذي هو عجيبة أبدية جديرة بالتأمل. لأنها ترسل النور والدفء إلى كل مكان. وهي تذكرنا بشمس البر يسوع ربنا، الذي يشرق بنوره على النفس، التي لفتها حلقة ظلام الإثم. فلا تبقى في الظلمة، بل يكون لها نور الحياة ويسوع ربنا، سوف يستعلن كالعريس وكالجبار في يومه، حين يأتي بقوة وبمجد كثير، ويبارك المسكونة.

وسيتتهج العريس، حين تختطف عروسه الكنيسة في السحب لملاقاته في الهواء. وسيرى الجميع مجده آتياً في السحاب، تحف به الملائكة.

(٦) تدور أرضنا حول الشمس، وتتلقى نورها وحرارتها. فتغطي الشمس حياة لكل كائن. وهذا الدوران المنتظم، يوصل النور والحرارة إلى كل جزء من أجزاء الأرض، بحيث لا يجرم مكان من فوائدها. وهي تغطي مقادير معينة بحيث لو حصل أي خلل تتغير معالم الحياة.

فهذه شهادة الطبيعة لله. وحبذا لو أن كل إنسان يسمع إلى هذه الشهادة. فيترأى له الله. ليمجده كإله ويتعبد له.

الترنيمة

يَا نَفْسُ قَوْمِي بِالْعَجَلِ
حَلِي التَّوَانِي وَالْكَسَلِ
يَا مَنْ وَهَبْتَ الْآنَ لِي
أَشْرُقُ بِنُورِكَ الْجَلِيِّ
يَا رَبُّ دَرَبٌ سُبُلِي
وَأَجْعَلْ فُؤَادِي يَمْتَلِي
وَأَجْعَلْ قُورَايَ وَالْفِكْرُ
تُؤُولُ يَا رَبُّ الْبَشَرُ
حَتَّى إِذَا حَانَ الرَّجِيلُ
أَكُونُ يَا رَبُّ نَزِيلُ

هَذَا قَدْ بَدَتْ شَمْسُ الصَّبَاحِ
وَأَسْعَى إِلَى رَبِّ الصَّلَاحِ
شَمْسًا لِمَحْوِ الظُّلْمَةِ
وَأَمْحُ دُجَى خَطِيئِي
وَكُنْ لِقَلْبِي نَاطِرًا
رُوحًا وَوَدِيعًا طَاهِرًا
وَكُلَّ قَوْلِي وَالْعَمَلُ
لِمَجْدِكَ السَّمَاوِيِّ الْأَجَلِ
مِنْ ذِي الدِّيَارِ الْفَانِيَةِ
تِلْكَ الدِّيَارِ الْبَاقِيَةِ

الصلاة:

أها الأب رب السماء، نشكرك لأنك في مراحمك ترسل أشعة شمسك إلى الأشرار والصالحين. وترسل أمطارك على الأبرار والظالمين. ونشكرك بنوع خاص، لأجل يسوع ابنك شمس البر وكوكب الصبح المنير، الذي يرسل نوره وحقه

(١) نظر إمام المرئمين إلى الفضاء، فإذا هو مزدحم بملايين الكواكب والمجرات المنتشرة الضوء، وكأنها بقعات بيضاء لامعة. وتأمل في الفلك، فرأى أن عظمة الخالق، تتجلى في أنه رتب كل شيء بمقادير مضبوطة، بحيث لو تغيرت هذه المقادير ينفجر الكون كله. وهذا التأمل في السماء، يلهم الناظر أن يرى الله فيها. لأن كل ما فيها يحدثنا عن مجده، ويكلمنا عن عمل يديه، اللتين صنعنا كل شيء بقدره وحكمة.

(٢) إن شهادة السموات لمجد الخالق متواصلة كل يوم، لأن تعاقب الليل والنهار، يسرد علينا نفس القصة. فالنهار لا تتوقف أحاديثه عما ترسله الشمس من نور ودفء. فنرى العقل الإلهي الكبير من وراء هذا الكون يتحكم بمداراتها. وإذا يقبل الليل بقمره ونجومه، يقدم لنا أجمل الصور. ويحدثنا عن عناية هذا الخالق العظيم بما صنعته يده.

(٣) إن تلك الأجرام لا تتكلم، ولا يُسمع لها صوت ولكن في وسعك أن تسمع صوت الله من خلالها. إذ يكفي أن ترفع بصرك إلى السماء في وسط النهار. وتنظر إلى الشمس والسحب المتجمعة حولها، لتقف على أدلة تبرهن حقيقة وجود الله صانع السموات والأرض.

وحين يلف الليل أرضنا بوشاحه القاتم، تطل عليك تلك المجموعات المتنوعة من النجوم، وهي تتحرك في كبد السماء بدقة متناهية، وبمواعيد ثابتة دقيقة. وحينئذ تسمع صوت الله بدون كلام، وتدرك وتتيقن بأن خلف هذا الكون العجيب عقلاً إلهياً.

(٤) نعم، إن كانت هذه الأجرام لا تتكلم بصوت مسموع فهي في صمتها رسالة بليغة جداً. وكما أن للإنسان لغة يعبر بها عن حاجاته ومشاعره، هكذا السماء لها لغتها التي ليس لها إلا حديث واحد، أن تشهد لمجد الله وعظمته وجلاله. وحديثها ليس موجهاً إلى شعب دون شعب، بل هو موجه إلى كل شعب وأمة، ليعرف الجميع الله. لذلك فالناس بلا عذر، إن لم يعرفوا الله. حتى الوثنيين بلا عذر، إن لم يروا أمور الله غير المنظورة في خليقته المنظورة.

وإن كانت خليفة الله، تشهد بوجود الله. فهي في ذات الوقت شاهدة على كل الذين ينكرون وجوده. ولن يتبرروا أمام المحاكم الإلهية. لكونهم بلا عذر. لأن الله، أظهر لهم

وأهوائها. ولا شيء يقوم لها مقام القائد والمرشد إلى جادة الصواب، سوى الناموس الإلهي، الذي إذا سلكنا في ضوئه كفلنا لأنفسنا الوقاية من الزلزل.

والقسم الثاني من هذه الآية، يؤكد لنا أن شهادات الرب صادقة وفيها التحذيرات والمواعظ، التي تصير الجاهل حكيماً. لأن الشهادات الإلهية، فوق ما تهدف إليه من سيادة الله وسلطانه، تتضمن أيضاً ما يجب أن نكون عليه في علاقاتنا بالرب. لذلك وصفها داود، بأنها صادقة وثابتة، لا يمكن أن تتغير. فهي إذن جديرة بالثقة، وبالتالي أن تتبع. ولا ريب في أن الرب إلهنا، إله صدق وأمانة. لا ينقض عهده، ولا يغير ما خرج من فمه. لذلك فإن كان أحدنا جاهلاً وتبعها، تزوده بالفهم الصحيح والفتنة.

فإلى الكتاب المقدس يا أخي! هل لديك نسخة منه؟ إن كان نعم فاعكف على قراءته، وادرس شهادات الرب المدونة فيه. وإن كان لا يوجد لديك هذا السفر العزيز، فإني أسألك برأفة الله أن تسارع إلى اقتناء نسخة منه. فإن قرأته في اتكال مطلق على الروح القدس، فإنك ستتزود بنور ومعرفة وحكمة، لا تستطيع فلسفات هذا الدهر أن تهتك شيئاً منها.

(٨) إن وصايا الرب المستقيمة، تعطي حافظها قوة التمييز الأدبي، وتزوده بموهبة التمييز بين الأمور المتخالفة. وهي تفرح القلب وتنعش النفس، وتنبير الذهن، كما حدث ليوناثان (اصموئيل ١٤) يوم تذوق العسل بطرف نشاطته، فاستنارت عيناه بمعنى أن الآية تتكلم عن القلب والعينين، هكذا أيضاً أعلن بولس، حين قال مستتيرة عيون أذهانكم. وهو يعني القلب. لأن القلب هو المسيطر على العينين، فإذا ما فرح القلب بوصايا الرب، استطاعت العينان أن ترى الأشياء على حقيقتها.

وأمر الرب طاهر، لأن لا شيء فيه من الأنانية. فهو يأمرنا أن نعمل ما هو خيرنا ولخير الآخرين، وليس فقط لكي يتمجد بطاعتنا. فأمره إذن ينير السبيل أمامنا، لكي نتهدب ونرتقي روحياً وأدبياً.

(٩) خوف الرب، أي الخشوع أمامه واحترام قداسته، وليس خوف الرعب. فإذا قرأ كلمة الله، يجب أن نذكر، أننا في حضرته عز وجل، الأمر الذي يوجد فينا الرغبة لعمل ما يرضيه ونبذ كل ما يحزن قلبه. وفي تعبير آخر أن خوف الرب نقي بدليل أنه يحجر الإنسان الذي قلبه من كل

إلى قلوبنا المظلمة فينيرها. ويطيب لنا أهباء الرب الكريم، أن نسبحك ونهللك، لأنك أعددت لنا خلاصك. فافتح عيوننا لنرى مجدك، في قدرتك وحكمتك في هذا الكون العجيب، الذي صنعه يدك. آمين.

السؤال:

٧ - كيف رأى داود مجد الله بحسب نص هذا المزمور؟

المزمور التاسع عشر - شهادات الرب

٧ نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا. ٨ وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفْرِحُ الْقَلْبَ. ٩ أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ. ٩ خَوْفُ الرَّبِّ نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى الْأَبَدِ. أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا. ١٠ أَشْهَى مِنْ الذَّهَبِ وَالْإِبْرِيْزِ الْكَثِيْرِ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ وَقَطْرُ الشَّهَادِ. ١١ أَيْضًا عَبْدُكَ يُحَدِّثُ بِهَا، وَفِي حِفْظِهَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ. ١٢ السَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا! مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَرْتَةِ أَبْرَثْنِي. ١٣ أَيْضًا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ أَحْفَظْ عَبْدُكَ فَلَا يَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ. حِينَئِذٍ أَكُونُ كَامِلًا، وَأَتَبَرَّأُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ. ١٤ التَّكْنُ أَقْوَالٌ فَمِي وَفَكْرٌ قَلْبِي مَرْضِيَّةٌ أَمَامَكَ يَا رَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي.

في هذا القسم من المزمور يتحدث المرنم عن ناموس الرب وشهاداته وأثرها في اقتياد الإنسان إلى كل ما هو حق وطاهر ومقدس، وإعطائه الإمكانية للعيش في البر وقداسة الحق.

(٧) ناموس الرب كامل مستقيم، لا خطأ فيه لذلك يمكن اعتماده في هدايتنا إلى الصواب. ونفهم من القرينة أنه ليس المقصود بكلمة ناموس مجرد الوصايا العشر، بل كل إعلانات الله في كلمته المكتوبة. هكذا نقرأ في العهد الجديد: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبُرِّ لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانٌ كَامِلًا، مُتَّاهِبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (٢ تيموثاوس ٣: ١٦ و ١٧).

فالله له المجد، أعطانا في كلمته إعلاناً كاملاً، إذا ما سلكنا بموجبه يرد أنفسنا إلى سبل البر. ويعطينا الإمكانية أن نعيش كما يحق للدعوة، التي دعينا بها، بكل تواضع ووداعة وطول أناة محتملين بعضنا بعضاً في المحبة.

قد تنحرف النفس عن الصواب، وتقع في الشطط، لذلك فهي تحتاج إلى قوة لضبطها، لئلا تسير حسب ميولها

طلبة تناسبك، يا أخي وتعينك على نيل الرضى الإلهي .
والله نفسه يصير وليك .

دنس يفصله عن إلهه، أو يحول دونه والاقتراب منه . فهو إذن ثابت متفق مع فكر الله . وخوف الرب، يحملنا على التمسك بأحكامه واعتبارها عادلة مستقيمة وبارة . بمعنى أن لها طبيعة الله، في الحق والعدل . فهي إذن جديرة بأن تتخذ منهجاً للسلوك .

الترنيمة

كَلامَ إِلَهِ يَسُرُّ الْقُلُوبَ لَذِيذٌ وَحُلُوٌّ كَقَطْرِ الشَّهَادِ
شِفَاءَ الْعِظَامِ يُزِيلُ الْكُرُوبَ دَوَاءٌ لَجِرْحِ الْفُؤَادِ
كَلامَ الْحَكِيمِ مَقِيمٌ الْكَيْسِخِ وَبَلَسَمَ خَيْرٌ لِكُلِّ الْكَلُومِ
لِبَاسُ الصَّلَاحِ وَنَبِيرُ الْمَسِيحِ مَرِيحُ الْكَلِيلِ مُزِيلُ الْهَمُومِ
كَلامَ الْغَنِيِّ غَنَى الْفَقِيرِ خَزَانَةُ خَيْرٍ وَكَنَزٌ ثَمِينِ
سِرَاجُ الْبَصِيرِ وَعَيْنُ الضَّرِيرِ مَلَأَ أَمِينَ وَبُرْجٌ حَصِينِ
كَلامَ اللَّطِيفِ أَسَاسُ السَّلَامِ مُزِيلُ الْمَخَافِ مَعْطِي النِّجَاةِ
عَلَامَةٌ حُبٌّ لَنَا وَأَبْتِسَامُ غِذَاءُ النَّفُوسِ وَمَاءُ الْحَيَاةِ
كَلامَ الْقَدِيرِ لَنَا فِي الْقِتَالِ سِلَاحٌ وَتَرَسٌ لِقَهْرِ الرَّجِيمِ
تَزُولُ السَّمَاءُ وَكُلُّ الْجِبَالِ وَيَثْبُتُ قَوْلُ إِلَهِ الْعَظِيمِ

(١٠) لما كانت أحكام الرب، هكذا صالحة ومستقيمة وعادلة وحق كلها فيجدر بالإنسان العاقل أن يطلبها . ويستمتع بها، أكثر من استمتاع الأغنياء بالذهب والإبريز . وهي بالنسبة للنفس المؤمنة، أشهى من العسل، الذي هو ألد الأطايب، التي عرفها الإنسان القديم .

في الحق أن كلام الله شهوي وطيب، ويفترض فينا أن نتغذى به . قال إرميا النبي: «وَجَدَ كَلَامُكَ فَأَكَلْتُهُ، فَكَانَ كَلَامُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي» (إرميا ١٥: ١٦) .

الصلاة:

يا ربنا الصالح المحب، لك شكرنا العميم من أجل كلامك العزيز، الذي هو سراج لأرجلنا ونور لسبيلنا . أعطنا الرغبة أن نلتصق بكلمة الحياة، وأن نعكف على دراستها كل يوم . لكي نستمد منها القوة على مغالبة الخطايا والسهوات . ونتوسل إليك أن تفتح الأبواب لجميع العاملين لنشر إنجيل الخلاص، إنجيل السلام . حتى بواسطته يعرف الناس ما هو خيرهم وما هو لسلامهم، برنا يسوع المسيح . آمين .

(١١) ومن عمل كلمة الرب أنها للتحذير والتنبيه . وحفظها يؤول بالإنسان إلى الثواب بالحياة الأبدية . فقد قال المسيح «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسَلْتَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدْ أَنْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (إنجيل بحسب يوحنا ٥: ٢٤) .

السؤال:

٨ - ماذا تتعلم من هذه الآيات الكريمة؟

الْمَزْمُورُ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ - الراعي الإلهي

الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَا يُغْوِزُنِي شَيْءٌ . ٢ فِي مَرَاعٍ خَضِرٍ
يُرْبِضُنِي . إِلَى مِيَاهِ الرِّاحَةِ يُورِدُنِي . ٣ أَيْرِدُ نَفْسِي . يَهْدِينِي
إِلَى سَبِيلِ الْبَرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ .

قال هنري بتشر «إن المزمور الثالث والعشرين، هداً أحرزاً أكثر مما صنعتها فلسفات العالم مجتمعة . فقد خلص كثيرين من أفكارهم الرديئة، وشكوكهم السوداء، وأحزانهم المسرفة . وعزى فقراء بلا عدد . وشدد عزيمة جمهور من الفاشلين . وأرسل بلسانه إلى قلوب المرضى ونزلاء السجون . وواسى ألوفاً من الأراذل والأيتام، في أحزانهم القاسية وعزلتهم الموحشة . وشدد قلوب أوف الجنود

(١٢ و ١٣) الشريعة الإلهية، هي مرآة النفس، تظهر لها عيوبها . وعلى الإنسان أن يصلي، لكي يحفظه الله من السهوات، ويظهره مما سلف منها . هذه السهوات، درج الناس على تسميتها بالصغائر، وقالوا إن الله يتجاوز عنها . ولكن كلمة الله تقول لنا، إن الخطية في نظر الله هي التعدي، سواء كانت كبيرة أم صغيرة، سهواً أم عمداً . لذلك وجب علينا أن نكون دائماً قريبين من الله، فقرينا منه له المجد يحفظنا في القداسة، ويعطينا القلب اليقظ، لكي لا تقع في السهوات .

تحصن يا أخي في مقادس الله، والتصق بشريعتة دوماً، فتحفظ نفسك بلا دنس في العالم . وحين تتحصن في مقادس الله، تحفظ نفسك أيضاً من معاشرات الأرياء المتكبرين، الذين يفتخرون بخطاياهم . افعل هذا تنجو من ذنوب كثيرة كنت ستقترفها لو أنك بقيت في شركتهم .

(١٤) ينهي المزمور بطلبة، فيها الحنين إلى القداسة الإيجابية، القائمة على طهارة القلب ونظافة اللسان . وهي

ليتك تربط هذا التأكيد على قلبك. ومهما هددتك الأخطار، ومهما هاجمتك الحاجة والعوز، تتقدم إلى الأمام، مشدداً قلبك بهذه الأنشودة العذبة «الرب راعي فلا يعوزني شيء» .

(٣) الراعي المخلص، يقود قطيعه إلى المراعي الخضراء، حيث يتوفر الكلاً الطيب. هناك تملأ الخراف بطونها، ثم تريض مستريحة. وتبدأ بالإجتار، فتمضغ طعامها جيداً متلذذة بطعمه. هكذا المؤمن، الذي اقتاده الراعي الصالح إلى مراعي كلمة الله، يستمتع بالكلمة، التي تشبع النفس، هكذا قال راعينا المبارك: «أَرْعَاهَا فِي مَرْعَى جَيِّدٍ... هُنَالِكَ تَرْبُضُ فِي مَرَاحِ حَسَنٍ، وَفِي مَرْعَى دَسَمٍ... أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأَرْضُهَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حزقيال ٣٤: ١٤ و١٥).

كلنا في حاجة إلى الراحة، فاليد لا يمكن أن تعمل بصورة دائمة. والعقل لا يمكن أن يظل مشدوداً، يعمل بدون راحة ولكن ليس في كياننا جزء، يطلب الراحة مثل حياتنا الروحية. لأنه ليس في وسعنا الصعود باستمرار على جبل الصعوبات الحشن، أو عبور مستنقعات الضجر والتمرد. يجب أن تكون لنا الإمكانية أن نرقد في المراعي الخضراء، مشمولين بعناية الراعي الصالح.

وإن كانت المراعي الخضراء، تحدثنا عن الشيع والراحة، فإن مياه الراحة، تحدثنا عن الارتواء والهدوء والسلام. وهذان الأمران نحن في أشد الحاجة إليهما، في عالم مضطرب مليء بالمتاعب. ولا يمكننا أن نجدهما، إلا عند قدمي الراعي الصالح، الذي قال: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أَرْحَمُكُمْ. إِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ» (الإنجيل بحسب متى ١١: ٢٨ و٢٩).

(٣) أنا هو الراعي الصالح، قال يسوع. والراعي الصالح لا يسمح للخراف أن تشرذم، إذ هي لا تستطيع أن تقود نفسها. مما يجعلها في حاجة ماسة، إلى افتقاد الراعي لها. ليردها من شرودها، ومن ضلالها. وكم نقرأ عن أمراض روحية، تصيب المؤمنين نتيجة مسايرتهم لأفكار أبناء هذا الدهر.

هكذا ضلت نعمي، وتمرمت، إلى أن ردها الرب إلى بيت لحم (راعوث ١) وهكذا تاه الابن الضال، وفي ضلاله كاد يهلك جوعاً، حتى رجع إلى نفسه، ثم إلى بيت أبيه

المحتضرين، في ساحات القتال، ليموتوا في سلام. وإلى الآن لم ينته عمل هذا المزمور المجيد، بل سيعمل ويعمل إلى أن يفنى الزمان» .

(١) يستهل داود هذا المزمور بهذه الكلمة: «الرب راعي» وهو استهلال ينم عن ثقة كاملة في الله وراحة شاملة في حضن عناية راعي الرعاة العظيم. وهي توجه أنظارنا إلى يسوع، الراعي الصالح، الذي تميز بحبه لخرافه إلى حد وضع النفس عنها. فذاك الذي ارتفع على الصليب، وأخذ مكاني أنا الأثيم، وتحمل دينونة الله بديلاً عني، هو راعي. والذي انتصر على الأسد الزائر في بركة الأردن وفي بستان جثسيماني، هو راعي.

«كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلٌّ وَاحِدٌ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعيا ٥٣: ٦) وكان القصاص قريباً جداً، من كل واحد منا. ولكن يسوع من عرشه، رأى الجموع منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها فتحزن. ولأنه الراعي الصالح، شاء أن يقدم حياته، ليفتديهم. فتم القول النبوي «اسْتَبْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَيَّ رَاعِيٍّ وَعَلَى رَجُلٍ رَفِيقِي، يَقُولُ رَبُّ الْجُودِ. اضْرِبِ الرَّاعِيَّ فَتَشْتَتِ الْغَنَمُ» (زكريا ١٣: ٧) وكثيرون يعرفون، أن يسوع هو راعي الأنفس وأسقفها. ولكن يوجد فرق، بين معرفة الشيء وبين حياته. إن قلت الرب راعي، فهذا يختلف تماماً عما إذا: «الرب راعي». وأنه لمن المهم أن تعرف أن يسوع مخلص، ولكن الأهم أن تختبر في ضوء الحقيقة، أنه مخلصك.

وهناك حقيقة يجب الإشارة إليها، وهي أن يسوع راعي النفوس، لا يستريح حينه إليك، إلا عندما تخلص بفدائه. وتضع يد إيمانك عليه وتقول: «الرب راعي» .

وهذا ميسور لك، إذ يكفي أن تحول النظر عن نفسك إلى شخصه، وتقبله بالإيمان. وعندها تصبح من عداد الخراف، التي يقودها الراعي الإلهي، وسط الحياة المعقدة إلى حظيرة السماء.

طوبى لخراف الرب، لأنها تجد إعوازاها، مهما كانت الضيقات شديدة. لأن راعيها الرب أمامه شيع سرور، وفي يمينه نعم إلى الأبد. هذا هو الذي قال «فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ، أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ، أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَّمُ. لِأَنَّ آبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ يَعْلمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنْ أَطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ» (الإنجيل بحسب متى ٦: ٣١-٣٣).

مَائِدَةً تَجَاهَ مَضَائِقِي. مَسَحْتَ بِالذَّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رِيًّا.
٦ إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتَّبِعَانِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي
بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الْأَيَّامِ.

(٤) لا يوجد آية في الكتاب المقدس، تركت أثراً في النفوس أكثر من هذه القائلة: أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي. ويا لروعها من آية كريمة! تشيع الاطمئنان والسلام في النفس، إذ تشعرها بأن وادي ظل الموت مأنوس بوجود الرب، راعي النفوس وأسقفها.

في سنة ١٩٥٣ دخلت ابنتي المستشفى لإجراء عملية استئصال الزائدة. وكانت مرتعبة وخائفة خوف الموت، لأن الزائدة كانت ملتهبة، وحالتها لا تخلو من الخطر. ولكن قبل إرسالها إلى غرفة العمليات، كتبت هذه الآية على قصاصة من الورق. وسألت رئيسة الممرضات أن تعطيتها لها قبل جرعة البنج مباشرة. فاستجابت للمتمسي، وعملت الآية الكريمة عملها. فبعد العملية، وحين زال تأثير البنج عن المريضة، نظرت إليّ مبتسمة وقالت «بالحق كنت خائفة حتى الموت ولكن ما أن قرأت الآية الكريمة، حتى تلاشى خوفاً، وسكن اضطرابي. لأنني سلمت أمري ليسوع راعي نفسي وسيد حياتي».

وهذه الآية المجيدة تعطينا فكرة معزية عن الموت، أنه ليس حالة دائمة بل هو ممر نجتازه إلى راحتنا الأبدية في الديار اللؤلؤية التي أعدها يسوعنا الحبيب، بحيث يمكننا أن نقول: إن المفديين الذين رحلوا، ليسوا أمواتاً، بل هم أحياء اجتازوا الأبعاد إلى حضرة الراعي الرب عن طريق الموت. بمعنى أن الموت بالنسبة للمؤمن، ليس إلا ظلاً يتلاشى أمام نور الأبدية. لأن يسوع له المجد «أباد ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعْتِقُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنْ أَلْمُوتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٥).

من المعلوم أن الظل في حد ذاته، ليس مؤذياً. فظل الأسد، لا يمكن أن يفترس حيواناً ما. وظل الرجل المسلح، لا يمكن أن يقتل. وهكذا ظل الموت، لا يمكن أن يهلك نفساً مؤمنة. وقد عرف بالملاحظة، أن الظل لا يمكن أن يوجد، ما لم يكن نور في الجهة المقابلة. فمقابل ظل الموت، يوجد نور المسيح، الذي بموته، أبطل الموت. وبقيامته أثار الحياة والخلود.

(الإنجيل بحسب لوقا ١٥) وضل سمعان بطرس وأنكر سيده، وكان هلاكه وشيكاً. ولكن الرب رد نفسه بنظرة الحب والحنان، عند صباح الديك.

إن كلمة «يرد نفسي» التي فاه بها داود، تحمل في الأصل معنى الإنعاش والتجديد المستمر للقوى الروحية. ولسعادة النفس البشرية، فإن الراعي الصالح، ليس فقط يردّها. بل أيضاً يهدبها إلى سبل البر، السبل المستقيمة، التي سلكها الرب نفسه في أيام جسده، تاركاً لنا مثلاً لكي نتبع خطواته. منها سبيل المحبة، وسبيل الاتضاع، وسبيل الطاعة، وسبيل إنكار الذات. هكذا نقرأ في الإنجيل: «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٠: ٢٧ و٢٨).

الترنيمه

| | |
|---|--|
| يَا مَنْ تَعَبْتُمْ بِحِمْلِكُمْ مَنْ حَمَلُهُ ثَقِيلٌ مَلْجَأٌ لَهُ فَيَسْتَرِيحُ بِرَّهِ الْجَلِيلِ إِلَيَّ إِنِّي مُرِيحُكُمْ بِظِلِّهِ الظَّلِيلِ وَقُرْبِهِ مَرْتَعٌ أَلْهَنَّا يُرَوِّى بِهِ أَلْغَلِيلِ | حَالاً تَعَالَوْا إِلَى الْمَسِيحِ فَهُوَ الَّذِي لَطْفَهُ يُرِيحُ كُلُّ مَنْ يَتَّخِذُ الْمَسِيحَ يَجِيًا سَعِيداً مُزِيناً الرَّبُّ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا فَأَسْرِعُوا كَيْ تَظَلُّلُوا بِدَمِهِ تَسْتَفِي أَلْخَطَاةَ وَعِنْدَهُ مَوْرِدُ الْحَيَاةِ |
|---|--|

الصلاة:

أبها السيد الرب يا راعي الملائكة والقديسين. نمجد اسمك أبها الإله الصالح. ونشكرك لأجل راعي الخراف العظيم، الذي أحبنا وهدانا من الضلال إلى سبل البر والحق. واقتادنا بمحبته إلى حظيرة المفديين لننعم بالراحة والسلام. حتى لا نضل في متاهات هذا العالم. هذا نطلبه باسم الراعي الأمين. آمين.

السؤال:

٩ - ماذا تحمل كلمة: «يرد نفسي» في الأصل وما هي السبل التي سلكها المسيح، وطلب إلينا أن نسلكها؟

الْمَزْمُورُ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ - تتمة

٤ أَيُّضاً إِذَا سَرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ أَلْمُوتِ لَا أَخَافُ شَرًّا، لِأَنَّكَ
أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعْزِيَانِي. هَاتِرْتَبُ قَدَامِي

يجتمع المؤمنون حول الرب، ليصنعوا ذكراه كفاد. وهم يفرحون ويتعزون بتعزيات من السماء كلما صنعوا هذه الذكرى.

ويشاء الرب أن يزيد في إكرام الذين هم له، فيهرق على رؤوسهم دهن المسحة، أي يختتمهم بالروح القدس ليوم الفداء. هكذا كان يمسح الملوك والكهنة قديماً لتكريسهم. وهذا اعتبار صار إليه كل مؤمن، بدليل قول يوحنا: «الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ» (رؤيا ١: ٥ و٦) ثم يختتم العشاء المجيد بكأس البركة، كأس الخلاص، الذي يتبعه فرح الله. هلولوا! كأس الخلاص. أتناول، وباسم الرب أدعو.

(٦) على طول الطريق، إلى أن نصل إلى بيت الأب، نتمتع بعناية الراعي، الذي لا يمكن أن يتوقف يوماً عن أن يهيب لنا كل أسباب السعادة. لقد أعد لنا مائدة كريمة، ومسحنا بدهن الابتهاج، وهو يملأ كأسنا دائماً بفرح الله. والآن يأمر اثنين من أنشط خدامه، أن يلازمانا، وهما الخير والرحمة. ومن فرط محبته، أنه أمرهما بالبقاء معنا، إلى أن نصل إلى الوطن السماوي.

أها القلب الخائف، الذي يخشى سلوك الطريق المظلم تشجع. منطلق ذاتك بشجاعة جديدة. إن الله يعرف عدد الأيام، الباقية من حياتك. يعرف مطالبها وتجاربها وأحزانها. وقد تعهد بأن يعطي القوة، على قدر ما عندك من ضعف. هكذا قال لبولس: «تَكْفِيكَ نِغْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمَلُ» (٢ كورنثوس ١٢: ٩) تأكد أنه، لن يأتي يوم، لا يباركه الله بخيره ورحمته. وأذكر وعده القائل في المسيح «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى أَنْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (الإنجيل بحسب متى ٢٨: ٢٠).

الترنيمه

إِنَّ رَبَّ الْمَجْدِ رَاعِيَّ الْكَرِيمِ
وَهُوَ يَرَعَانِي بِحُبِّهِ الْعَظِيمِ
هَادِيًا نَفْسِي لِبِرِّهِ الْقَوِيمِ
فِي مَصَابِيئِي وَفِي الْكُرْبِ الْأَلِيمِ
وَبِوَادِي الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُ أَسِيرُ
فَمَجِي أَنْتَ تَسِيرِي يَا قَدِيرُ
رَحْمَةً تَتَّبِعُنِي خَيْرٌ كَثِيرُ
أَسْكُنُ الْبَيْتَ الْمَقْدَسَ الْمُنِيرُ
حَافِظِي مِنْ شُرُورِ الزَّمَانِ
فِيهِ لِي رَاحَةٌ وَطَمَآنُ
وَلَأَجَلَ اسْمِهِ كُلِّ أَنْ
أَسْتَرِيحُ بِهِ فِي أَمَانِ
لَا أَخَافُ أَلْبَلَاءَ وَالشُّرُورُ
فِيكَ كُلُّ عَزَاءٍ وَنُورُ
كُلِّ أَيَّامِ عُمْرِي سُورُ
فَارِحًا آمِنًا لِلدَّهْوَرُ

لقد عبر أحد الأتقياء عن ظل الموت بالأم الطريق وأحزانها، إذ قال: في ساعة التجربة ساعة الظلام، حيث تقع ظلال الموت على طريقي، فإن راعي الإلهي لا يتركني، ولا يحرمني رفقته المباركة. فاجتاز وادي ظل الموت مطمئناً. لأنه يحول ظل الموت صباحاً (عاموس ٥: ٨).

على أي حال، مهما اختلفت صورة وادي ظل الموت في اختباراتنا الروحية، فلا شك أن النفس في عبورها ذلك الوادي، تشعر بحاجتها الماسة إلى التعزية. ولسعادتھا فإن الرب، يريد أن يعزها، بدليل قوله: عزوا، عزوا شعبي، يقول إلهكم. على أن النقطة الهامة، التي تبرز لنا في هذه الآية، هي أن الله القدير راعيننا الحنون، يعزينا بعصاه وعكازه. فالعصا رمز القوة والمدافعة، والسلاح الذي نضرب به أعداءنا. أما العكاز، فهو عصا الرعاية. وهو عادة، يكون معقوف الرأس. وهو أداة لا غنى للراعي عنها. تحته تمر الخراف، واحداً فواحداً لإحصائها. وبه يسحب الخراف من الحفر، التي قد تسقط فيها. وبه أيضاً يؤديها، عندما لا تطيعه. ففي كل من هذه الحقائق تعزية، لأبناء الله المجريين.

في البداية يبدو أن التأديب، يتنافى مع التعزية. فعملية التأديب غير سارة، وضربة العكاز أليمة. ولكنها دليل على حب الله، كما هو مكتوب: الذي يحبه الرب يؤدبه. ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتلمون التأديب، يعاملكم الله كالبنين (عبرانيين ١٢: ٦ و٧) فاقبل إذاً أها الأخ كل ضربة، من عكاز الراعي الصالح. قل: لا بد أن راعيي يجنبي، وإلا فلم يكن هناك مبرر لتأديبي. وبعد ذلك، حول قلبك إليه في رغبة ملحّة في أن تتعلم الدرس، الذي يريد أن تتعلمه.

(٥) يجب أن نذكر، أن لأبينا السماوي أسرة كبيرة، وأن كل فرد في الأسرة يعتمد على قدرته. وأنه له المجد في وسط كل العناصر الطبيعية، التي يعتني بها باستمرار، ببذل عناية أوفر لسد إعواز أولئك الذين يدعونه بالحق «أبانا الذي في السموات» فنحن بالنسبة لمحبهه المعتنية لسننا ضيوفاً، بل أبناء. وكل مخازن الإمدادات الإلهية، معدة لسد إعوازنا.

لقد تساءل الشعب قديماً، في عدم إيمان: هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية؟ (مزمور ٧٨: ١٩) وها هو داود يقر مبتهجاً، أن الرب يرتب قدامه مائدة تجاه أعدائه المضايقين! والمائدة تتضمن كل المشتهيات الروحية، التي يضعها الله بين أيدينا في كلمته المقدسة. وهي تتضمن مواعيده الثمينه، التي بها يقوي إيماننا ويثبت رجاءنا. وأجمل صورة للمائدة الإلهية، ترى في العشاء الرباني، حينما

(٣-١) يرفع المرنم نفسه، إلى الرب إله الفداء والعهد. الإله الغير المتغير، الذي لا يستغني الإنسان عن الإتكال عليه، بسبب ضعفه وعدم استقراره. كان داود حين نظم هذا المزمور، هارباً من وجه ابنه أبشالوم، الذي انقلب عليه، وتآمر لكي ينتزع الملك من يديه. ولكن رغم الظروف القاسية في موقفه إزاء شمعي بن جيرا، الذي سبه ورشقه بالحجارة. فحين قرر أبيشاي بن صيرويه أن يقطع رأس شمعي عقاباً له قال له داود: «دَعُوهُ يَسُبُّ لَأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ. لَعَلَّ الرَّبَّ يَنْظُرُ إِلَى مَدَلَّتِي وَيَكْفِنِي الرَّبُّ خَيْرًا عَوْضَ مَسَبَّتِهِ هَذَا الْيَوْمَ» (صموئيل الثاني ١٦: ١-١٢). ولأن داود تقبل الأمر من الرب، لا من الناس، استطاع وهو في محتته أن يرفع نفسه إلى الله، وبالتالي يعلن أنه بالاتكال عليه يستطيع أن يتحمل المحن. لأن الله المحب يسندنا فلا نفشل، ولا يدعنا نخزي.

ونتعلم بالاختبار، أن جميع منتظري الرب لا يخزون. لأن الرب لا يمكن أن يتخلى عنهم. هذا هو شعور المؤمنين المولودين من الله، المملوءة قلوبهم بالرجاء الحي.

كل منتظريك لا يخزون، قال المرنم، وأنت إذ تتأمل في هذه الآية الكريمة، ينبغي أن تنسى نفسك. وأن تفكر في قديسي الله في العالم، الذين يشتركون معنا في انتظار الرب. فكر في العدد العديد من الناس، الذين يحتاجون إلى هذه الصلاة. كم من مريض أو متعصب أو حزين، يبدو له وكأن صلواته لم تأت بفائدة. وهو يخشى، أن يخزي رجاؤه! وكم من أناس سمعوا عن راحة السلام الكامل، وعن التمتع بضيء وجه الله والشركة معه، عن القوة والغلبة! ولكن لم يتمتعوا بهذه الامتيازات. كل هؤلاء عيبتهم، أنهم لم يتعلموا سر انتظار الله.

يعوزهم جميعاً كما يعوزنا، أن تكون لهم ثقة أكيدة بأن انتظار الله، لا يمكن أن يخزي. الحزني من نصيب الأشرار الغادرين، الذين يرفضون الله في عدم إيمان. وهم يرفضونه بسبب شرهم وبعدهم عنه، كما هو مكتوب: «وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً» (الإنجيل بحسب يوحنا ٣: ١٩).

(٤) تذكرنا طلبة داود في هذه الآية، بطلبة رفعها موسى إلى الله، إذ قال «فَالآنَ إِن كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَعَلَّمْنِي طَرِيقَكَ حَتَّى أَعْرِفَكَ لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ» (خروج ٣٣: ١٣) فالطلبة تحمل معنى التوسل إلى الرب الإله، ليكشف له طريقه المستقيمة، ويظهرها حتى تكون

قرار
لَا أَخَافُ لَا أَخَافُ
فَمَعِيَ رَاعٍ أَمِينٌ
فِيهِ لِي رَاحَةٌ وَسَلَامٌ

الصلاة:
أها الرب الإله، حافظ العهد والأمانة. إننا نشكرك من صميم القلب لأجل نعمتك، التي ترافق كل مؤمن، في الصعوبات والمخاطر، التي تحقيق به. ونشكرك لأجل عونك لنا، ومدك إيانا بالشجاعة لمواجهة البلايا. ونشكرك لأجل عصا التأديب، التي تهش بها علينا لمحببتك. ونشكرك لأجل كلمتك العزيزة، التي هي غذاء لنفوسنا. ونشكرك لأجل مسحة القدوس التي بها ختمتنا ليوم فداتنا. ونشكرك لأجل خيرك ورحمتك اللذين يرافقاننا كل حين، آمين.

السؤال:
١٠ - ماذا ترى في العصا والعاكاز؟

المزمور الخامس والعشرون - صيغة الأسى

إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي. ٢ يَا إِلَهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَلَا تَدْعُنِي أَخْزَى. لَا تَشْمَتْ بِي أَعْدَائِي. ٣ أَيْضاً كُلُّ مُنْتَظِرِكَ لَا يَجْزُوا. لِيَخْزَ الْغَادِرُونَ بِلا سَبَبٍ. ٤ طُرُقَكَ يَا رَبُّ عَرَفْنِي. سُبُلَكَ عَلَّمْنِي. ٥ دَرَّبْنِي فِي حَقِّكَ وَعَلَّمْنِي. لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهُ خَلَاصِي. إِيَّاكَ أَنْتَظَرْتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. ٦ أَذْكَرُ مَرَامِكَ يَا رَبُّ وَإِحْسَانَاتِكَ، لِأَنَّهَا مِنْذُ الْأَزَلِ هِيَ. ٧ لَا تَذْكَرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلَا مَعَاصِي. كَرِهْتِكَ أَذْكَرُنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ.

٨ الرَّبُّ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ، لِذَلِكَ يَعْلَمُ الْخَطَاةَ الطَّرِيقَ. ٩ يَدْرِبُ الْوُدْعَاءَ فِي الْحَقِّ، وَيَعْلَمُ الْوُدْعَاءَ طَرَفَهُ. ١٠ أَكُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ. ١١ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبُّ اغْفِرْ لِي لِأَنَّهُ عَظِيمٌ.

تنبعث من هذا المزمور صيغة أسى. فقد كتب في ظروف مليئة بالحزن والألم. غير أننا في نفس الوقت نلاحظ فيه كلمات الرجاء المزكى، بالإحساس ببر الله ونعمته، والثقة بجودته. وهذه من شأنها، أن تقود القلب إلى الله، طالباً رحمته الغنية باللطف والحنو.

من البديهي أن النفس المحررة تبتهج بإله خلاصها، وتنتظره اليوم كله دون إعياء أو ملل. وبذلك تستجمع قوة أكثر، وفقاً للقول النبوي: «أَمَّا مُتَنظِّرُو الرَّبِّ فَيَجِدُّونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجْنِحَةً كَالنُّسُورِ. يَرْكُضُونَ وَلَا يَتَعَبُونَ، يَمْشُونَ وَلَا يُعْيُونَ» (إشعيا ٤٠: ٣١).

(٦) إن مراحم الله عظيمة ودائمة، لا يمنعها عن جميع طالبيه. هكذا قال له المجد «مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَحَبَّتْكَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لَكَ الرَّحْمَةَ» (إرميا ٣١: ٣) فانطلاقاً من هذه الحقيقة المعلنة، راح داود يذكر الله بمراحمه الثابتة وإحساناته التي لا تُعد. فهذه الإحسانات وهذه المراحم الثابتة أزلية، اختبرها جميع القديسين. سواء كان قبل داود أم بعده. وتتعلم من طلبة داود، أن صفات الرحمة والإحسان، تلازم الله، ولا يمكن أن تنقطع مراحمه وإحساناته.

(٧) عرف داود بالاختبار الشخصي، أن الله كثير الرحمة، ولا يحقد إلى الدهر. فهو يغفر الذنب، ويقبل التوبة. واستناداً إلى هذه الرحمة سأل الرب ان يغفر له، ولا يذكر خطاياها، سيما خطايا أيام الصبا والجهل. وقد نعتها بالمعاصي، لأنها في جوهرها عصيان لأوامر الله وتعد على شرائعه الإلهية. ولا يتوقف عند طلب الغفران، بل يطلب لإله أن يذكره من أجل جوده ولطفه وصلاحه. هذا هو باب الغفران الوحيد، أن نلتجئ إلى جود الله الغني بالرحمة، والذي ظهر بالأحرى في صليب ربنا يسوع.

(٨ و ٩) يشهد المرنم لله، لكأنه يقول: الآن تستطيع نفسي أن تعترف بصلاح الله واستقامته. إنني أكف عن المشغولية بخطايا الصبا والمعاصي، لكي أجعل نفسي تخبر بفوائده الذي دعاها من الظلمة إلى نوره العجيب. وهذا أمر طبيعي، لأن النفس التي نالت خلاص الله، لا بد أن تحبه وتتعلق به. وخصوصاً حين تذكر أن الله في الصليب استطاع أن يخلصها ويعطيها براً وسلاماً.

وكون الله صالح ومستقيم، فهو يدرّب الودعاء في الحق، ويعلمهم طريقه. وهنا يجب أن أذكر أن الوداعة ليست شيئاً طبيعياً في قلب الإنسان. وإنما هي نعمة يمنحها الله للذين يسلكون بتواضع أمامه ويتعلمون منه، بدليل قول المسيح «تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم».

اطلبوا البر، اطلبوا التواضع، قال صفنيا النبي: فإن كنت تريد معرفة فكر الله، فعليك بالتواضع (صفنيا ٢: ٣). فإن

جلية واضحة قدام عينيه، فلا يجيد عنها. ويحدثنا الكتاب المقدس عن عدة طرق، يجب أن يسلكها المؤمن، منها:

- طريق الحكمة
- طريق الفهم
- طريق الحياة
- طريق البر
- طريق العدل
- طريق المعرفة

وفي الشطر الثاني من الطلبة، يقول: «علمني سبلك» وأنه لمن المفيد لنا أن نميز بين الطرق والسبل. فطرق الإنسان هي أسلوب حياته، الذي اختاره لنفسه. أما السبل، فهي المبادئ، التي يسلك بموجبها. والكتاب المقدس يذكر لنا عدة سبل صالحة وضعها الله للإنسان منها:

- سبيل البر
- سبيل الحق
- سبيل الاستقامة
- طريق الحياة
- سبيل وصايا الله

هذه السبل سلك ربنا يسوع المبارك بموجبها، تاركاً لنا مثلاً، لكي نتبع خطواته.

(٥) يسأل الله أن يدرّبه في معرفة الحق، أو تدريب نفسه على السلوك في الحق. إن معرفة الحق هي معرفة المسيح. ومعرفة المسيح، تقود إلى الحرية بدليل قول المسيح: بي تعرفون الحق، والحق يحرركم (الإنجيل بحسب يوحنا ٨: ٣٢) ومعرفة الحق في المسيح، هي معرفة الله والحياة الأبدية. هذه الحقيقة أعلنت ليوحنا الإنجيلي، وشهد بها، إذ قال «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ إِلَهُ الْحَقِّ وَالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ» (رسالة يوحنا الأولى ٥: ٢٠).

هل تريد أن تعرف الحق، وتسلك فيه باستمرار وبلا تعثر، إلى أن تدخل الحياة الأبدية عند الله؟ هذا متاح لك، إن أتيت إلى يسوع، الذي قال «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا يَبِي» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٤: ٦).

تَقُ فَقَادِي النَّاسِ قَدْ
صَالِحِ الْأَعْمَالِ ذَا
لَا زِمَ لِكِنَّةٍ
فَالِي الْفَادِي الْجَاوَا
تَلَبَّسُوا مِنْ بَرِّهِ

تَمَمَّ الْأَمْرَا
تَمَّرَ الْإِيمَانَ
مَا بِهِ غُفْرَانَ
أَهْبَا الْحُطَاةَ
حَلَّةَ الْحَيَاةِ

الله يقاوم المستكبرين، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة. المتواضعون المتدربون في الحق، يعلمهم الله طريقه، فتصبح حواسهم مدرية، لتمييز الأمور المتخالفة. أما إن كان أحد في كبريائه وشموخ نفسه، يريد الاستقلال بنفسه فلا بد أن يضل. وفي النهاية يأتي هلاكه.

الصلاة:

أبانا الذي في السموات، نطلب إليك أيها المبارك، ألا تسمح بخزي أي واحد من منتظريك. اليك أرفع نفسي، يا ساكناً في الأعالي، متوسلاً أن تغفر لي خطاياي الكثيرة، التي اقترفتها بالفكر والقول والعمل. إني أقر بضعفي، وبزيغاني عن طريقك المستقيمة. أضرع إليك يا إله خلاصي، أن تدربني في سبلك. ضللت طريقي، فاهدني طريقك. ثبتني في كلمتك، لكي أعرف الحق، فأتحرك من عبودية الباطل، وأتبرأ من ذنب عظيم. استجب لي صلاتي منعماً، ولك الشكر. أمين.

السؤال:

١١ - ما هي البركات التي سأها داود من الله؟

الْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ - اختبار صلاح الله

١٢ مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ الْخَائِفُ الرَّبِّ؟ يُعَلِّمُهُ طَرِيقاً يَجْتَازُهُ.
١٣ نَفْسُهُ فِي الْخَيْرِ تَبِيْتُ، وَنَسَلُهُ يَرِثُ الْأَرْضَ. ١٤ اسْرُ الرَّبِّ
لِخَائِفِيهِ وَعَهْدُهُ لِتَعْلِيمِهِمْ. ١٥ عَيْنَايَ دَائِماً إِلَى الرَّبِّ، لِأَنَّهُ
هُوَ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ.

١٦ أَلْتَفَتَ إِلَيَّ وَأَرْحَمَنِي لِأَنِّي وَحْدٌ وَمَسْكِينٌ أَنَا. ١٧ أَفْرَجْ
ضَيْقَاتِ قَلْبِي. مِنْ شِدَائِدِي أَخْرِجْنِي. ١٨ أَنْظُرْ إِلَيَّ ذُلِّي
وَتَعَبِي وَأَغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ.

(١٢) إن مخافة الرب، هي طريق الحق، الذي فيه يتولى الرب تعليم الذين يخافونه. وفي اعتقادي أن إدراك النعمة على حقيقتها إدراكاً صحيحاً، يقود النفس إلى مخافة الرب. ولكن ليس خوف العبودية، بل خوف المحبة. لأن معرفة الله كإله النعمة، يحرر النفس من عبودية الخوف. هكذا علمنا الرسول يوحنا: «لَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ» (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١٨) قال أحد الأتقياء: متى كملت المحبة تطرح الخوف من قلب المؤمن، لأن المؤمن واثق قلبه ممكن في الله. وثقته ناشئة عن

(١٠) في الآية ٨ شهد النبي المرئم، أن الرب صالح ومستقيم وفي الآية ٩ شهد بأنه يدرّب الودعاء في الحق. وهنا يشهد أن كل سبل الله رحمة وحق، بالنسبة للأتقياء حافظي عهد الرب. وشهاداته هذه، جاءت بفعل الإرشاد الإلهي، الذي قاده إلى معرفة الله في قداسته وحقه. فكل ما يقوله الله لأتقيائه وحافظي عهده، هو حق وعدل. إذا ليس من الممكن أن ينال الرحمة إلا الذين يسلكون في الطاعة.

(١١) يختم المرئم هذا القسم من المزمور بصلاة حارة. مستصرخاً اسم الرب لأجل الصفا عن الخطايا، التي أثقلت ضميره، وتثقلت بها نفسه. إنه يعترف بأن اسمه عظيم وبهذا أदान نفسه ويرر الله، الذي لا يتبرر ذو جسد أمامه.

كثيرون يحاولون تبرير أنفسهم، مدعين بأنهم ليسوا خطاة. هؤلاء يدينون الله، الذي قال: الجميع زاغوا وفسدوا معاً. وكثيرون ينسبون خطاياهم إلى ظروف خارجة عن إرادتهم، محاولين أن يقللوا من مسؤوليتهم. هذه ليست الطريق المؤدية إلى الغفران. إن كنت تريد غفران خطاياك، فاعترف بها واتركها. هذه الحقيقة ذكرها الرسول يوحنا بقوله «إِنْ أَعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (يوحنا الأولى ١: ٩) لا تخف من الماضي الملوث، فإن الله يدعوك إلى المحاجة لكي يبررك. «هَلُمَّ تَتَحَاجَّجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقَرْمِزِ تَبْيَضُ كَاللُّبَّاجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصْبِرُ كَالصُّوفِ» (إشعياء ١: ١٨).

الترنيمه

كُنْتُ مَدْيُونٌ أَلْعَلِّي
فَقَضَى دَيْنِي أَلَّذِي
القرار
قَدْ قَضَى دَيْنِي
جَيْنَمَا مَاتَ لَذَا
إِذْ أَتَى مِنْ عَرْشِهِ
تَمَّ مَسْعَاهُ هُنَا
أَهْبَا أَلْسَاعِي لِأَنِّ

خَالِقَ أَلْكُلِّ
مَاتَ مِنْ أَجَلِي
كُلُّهُ أَلْحَمَلِ
قَالَ قَدْ كَمَلْ
لِفِدَى الْإِنْسَانِ
كَامِلَ الْإِثْقَانِ
تُدْرِكُ أَلْبِرِّ

القدوس. فيتعلمون عهده، وينالون ما فيه من بركات موعودة.

كون المسيح صديقه، وقد خلصه من الخطية، التي هي علة الخوف.

وكذلك خائفو الرب، يتمتعون بالشركة السعيدة مع إلههم وهو يغمرهم برضاه ويشملهم بمحبته، وفقاً لقول المسيح: «الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أَحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٤: ٢١) جاء في أمثال ٨: ١٧ «أَنَا أَحَبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي، وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي». فيا أخي الشاب بكر بمجيئك إلى الله كما فعل يوسف وصموئيل ودانيال وتيموثاوس، فتجد الله لك خلاصاً وعوناً وحياتاً أبدية. اسع إلى الله في المسيح لأن كلمة المسيح «وأنا أحبه» تعني أن المسيح يصير لمن يحبه فادياً وأخاً وصديقاً ورفيقاً درب وحامياً. واعلم أنه لا شيء أعجب من هذا، أن المسيح يحبنا.

إن الإنسان الذي يخاف الله خوف المحبة، يقوده الرب بالمحبة إلى سلوك الطريق المستقيمة، التي يختارها الرب. وهي الطريق المضمونة السلامة، بحيث لا يبقى المؤمن محتاراً متردداً على مفترق الطرق وفي منعطفاتها. لأن السيد الرب أرشده، إلى الطريق المؤدية إليه بالمسيح.

كانت مخافة الرب موضوعاً لاهتمام رجال الله الموحى إليهم. فسليمان الحكيم يعلمنا: «إن مخافة الرب رأس المعرفة» (أمثال ١: ٧) ومعنى هذا أن لا معرفة ولا فلسفة صحيحة، بعيداً عن مخافة الرب. وكل من يدعي المعرفة ويتجاهل الرب، ليس إلا غيبياً جاهلاً. ولكن للأسف الشديد أن العدد العديد من مفكري هذا العصر، ألقوا بمخافة الرب عرض الحائط. فكثرت السخافات، التي يتقبلها البسطاء على أنها علوم وفلسفة. فتمت فيهم كلمة رسول الأمم بولس: «وَيَبِينَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءَ» (رومية ١: ٢٢).

(١٥) لقد عرف النبي أن الرب قريب من الودعاء والمتواضعين الذين يخافونه. وأنه يعتني بهم، ويرشدهم الطريق التي يسلكونها. ويكشف لهم عن أسرار ومقاصد نعمته. لذلك يرفع عينيه نحو الرب أي يجعله متكله. ويطلب منه العون، واثقاً بمحبته المعنوية وفي قدرته القادرة أن تنجيه من الشبكة، التي ينصبها له الأعداء.

ثق يا أخي أن مخافة الرب تحفظك في الصراط المستقيم، بخلاف أولئك الذين طرخوا عنهم مخافة الرب، الذين كما قال الحكيم، يأكلون من ثمر طريقهم. وقد سجل عليهم الكتاب المقدس، أنهم أبغضوا العلم الصحيح. ولم يختاروا مخافة الرب.

إن هذه النظرة المستمرة إلى الأعالي، تقابل بالعون الإلهي. وإن كانت الشبكة تقيد الأيدي والأرجل، فإنها لا تستطيع أن تقيد عيني الإيمان، اللتين ترتفعان إلى الأعالي. إنهما تريان ما لا يرى من مجد الله. فيثبت القلب، وتتغذى النفس.

(١٣) إن الذي يخاف الرب، يسلك في الحق والبر وبذلك يبلغ أوج السعادة. إنسان كهذا، نفسه في الخير تبيت. إنه يتمتع بكل البركات، التي أعدها الله لحائفيه الراجين رحمته. فضلاً عما يهبه الله من سلام واطمئنان وراحة، في عالم يسوده الخوف والقلق.

هل عينك دائماً إلى الرب؟ هل تتعبد له، مصلياً وشاكراً لأجل المراحم الإلهية، التي لا تتخلى عنك، والتي تجعلك قادراً على مواجهة الأحداث، بشجاعة المؤمن الواثق في الله؟ هذه دعوتك كمؤمن، إن سلكت فيها، تجعل الله رفيقاً لك.

كان المرئم كغيره من رجال العهد القديم، ينظر إلى البركات الرفيعة كهبة محبوبة من الله. أما بالنسبة لنا نحن العائشين في عهد النعمة، فنصيينا أفضل. إذ لنا في المسيح ميراث، لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات (رسالة بطرس الأولى ١: ٤).

(١٦) بعد أن تحدث النبي الكريم بلغة الواثق في صلاح الله ورحمته وقدرته الفائقة، يستصرخ الله ويسأله في تضرع أن يخلصه من أعدائه. فقد كان هارباً من وجه ابنه أبشالوم الثائر، وليس أقسى على القلب الأبوي من عقوق الأبناء. لذلك فهو يسكب قلبه أمام الله. لقد طلب إلى الرب، أن يلتفت إليه ويرحم مذلته. فقد مرت به ظروف قاسية، شعر خلالها أنه وحيد ومسكين، بلا صديق ولا معين. وليس على النفس المجرمة أثقل من هذا الشعور.

(١٤) يتولى الرب خائفه بالإرشاد، في كل طرقهم. ويغمرهم بالخير والإحسان. ومن امتيازات هؤلاء الأبرار، أن الرب يعلن لهم سرائره بواسطة كلمته وإرشاد روجه

قال أحد الأتقياء «ما قرأت المزمور ٢٧ مرة، إلا وامتلأت نفسي بالاطمئنان، واطمئنتاني هذا، هو حاصل ثقتي الكاملة في الله، الذي هو نور وخالص لكل الذين يدعونه الذين يدعونه بالحق». فطوبى للرجل، الذي له هذه الثقة في الله. إنه لا يخزى ولا ينجل لأنه مستنير بالرب، مخلص بنعمته.

، امتلأ خاطر يوحنا «أنا هو نور العالم» (١) حين قال يسوع: الإنجيلي بهذا الإعلان العظيم. وأهمه الروح القدس أن يكتب شهادته لأجل إنارتنا فقال: «وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به: إن الله نور وليس فيه ظلمة ألبتة. إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة، نكذب ولسننا نعمل الحق. ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، قلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح آتبه يُطهرنا من كل خطية» (رسالة يوحنا الأولى ١: ٥-٧).

اسلك في النور، هذه دعوة الله لك في المسيح نور العالم، لكي يستنير قلبك، وتعرف يسوع مخلصك ومنير سبيلك. وعندئذ تتلاشى قوة الخطية في جسدك، وتتحقق لك مغفرة الخطايا.

وحين قال يسوع: «أنا هو الباب». إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٠: ٩) عرف سامعوه لأول مرة معنى النشيد، الذي تفوه به إشعياء النبي: «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا ارتعب، لأن ياه بهوة قوتي وتزيمتي وقد صار لي خلاصاً» (إشعياء ١٢: ٢).

قد تقول مع كثيرين، إن الرب مخلص فعلاً. ولكن أية فائدة لك من هذا، إن لم تقبله بالإيمان، وتتخذة مخلصاً شخصياً؟ إنه الباب المؤدي إلى الخلاص، فكن حكيماً وادخل به فتخلص. الباب مفتوح والحمد لله. والوقت مناسب، لأن الله يقول: «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (كورنثوس الثانية ٦: ٢).

لا تخش شراً، لأن الرب الذي قبلت خلاصه هو حصن مكين، يركض إليه الصديق، فيجد فيه الهدوء والسلام، بحيث لا يقدر أحد أن يخيفه أو يثير الاضطراب في نفسه.

رسم فنان لوحه، عنوانها «هدوء في وسط العاصفة» فصور بحيرة متلاطمة بالأمواج، وفي وسطها صخرة كبيرة عالية. وفي تجويف بأعلى الصخرة عش، فيه عصفور جاثم ومستغرق في نوم هادئ. فزئير العاصفة حوله وهدير

الترنيمه

لَا تَخْشَ مِنْ رُزْءِ عَرَكَ
تَحْتَ جَنَاحِيهِ جَمَاكَ
إِذْ يَغْتَنِي بِكَ
إِذْ يَغْتَنِي بِكَ
إِنْ هَاجَمَ النَّفْسَ الْكَدَّرَ
يُنْقِذُهَا مِنَ الْخَطَرِ
تَنَالُ مِنْهُ مَا تُرِيدُ
وَجُودُهُ يُؤَلِّي الْمَزِيدَ
إِنَّ تَجَارِيِبَ الزَّمَانِ
لِكِنَّهُ يُعْطِي الْأَمَانَ
فَرُبُّكَ الْمُعِينُ
مَلَاذِكَ الْأَمِينُ
فِي كُلِّ حِينٍ هُوَ الْمُعِينُ
إِذْ يَغْتَنِي بِكَ
فَالْجَأُ إِلَى يَسُوعَ
فَلَا أَدَى يَرُوعَ
مِنْ وَافِرِ الْعَطَاءِ
بِفَاتِقِ السَّخَاءِ
كَثِيرَةِ الْكُرُوبِ
فَنَأْمَنُ الْخَطُوبِ

الصلاة:

أهيا السيد الرب، ملكي والهي. إليك أرفع نفسي يا ساكناً في الأعالي. من أجل اسمك المبارك اغفر لي خطاياي. ومن أجل رحمتك الكثيرة، ارحمني وارفع مذمتي. دربني في حقك، لأنك أنت إله حق. حررني من عبودية الفساد، حتى أحميا لك في بر وقداسة. طهر شفتي، لكي تسبحانك على الدوام. طهر قلبي واملأه بالمحبة، لكي أحبك من كل قلبي وأحب أخي الإنسان كنفسه. من أجل اسمك القدوس استجب لي. آمين.

السؤال:

١٢ - من هو الإنسان الخائف الرب؟

الْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - الله نور

الرَّبُّ نُورِي وَخَلَاصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟ ٢عند ما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي، مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا. ٣إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن. ٤واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرس في هيكله. ٥لأنه يحبني في مظلتي في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني. ٦والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح ألهتاف. أعني وأرغم للرب.

قد يستطيع العالم الشرير، أن يبتلينا بالضيق، وأن يعاملنا بنوه بقسوة. ولكن لا توجد قوة ولا خليقة أخرى، قادرة أن تسلبنا امتيازنا في المسيح. ولا أن تزيل عنا رحمة الله المحيطة بنا. هذا الامتياز تمتع به بولس، فكتب لنا عنه بمداد الاختبار هذه العبارات الرائعة: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمْ أَضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ... فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ، وَلَا قُوَّاتٍ، وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً وَلَا عُلوَّ وَلَا عُمقَ، وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رسالة رومية ٨: ٣٥-٣٨).

الأمواج، لم يستطع منعه من التمتع بإغفاءة ناعمة! فكان اطمئنانه مرتكزاً على وجود عشه في رأس تلك الصخرة، التي لا تستطيع أعتى العواصف أن تززعها. هكذا من كان حصن حياته صخرة الدهور، ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. فإن اضطرابات العالم، لا تقدر أن تززع سلامه.

(٢ و ٣) كان أعداء داود يطلبون نفسه. وقد شبههم بالوحوش الجائعة، التي تمزق جسد الفريسة وتلتهم لحمها. ولكن هؤلاء الأعداء فشلت محاولاتهم. لأن الله، كان متولياً حماية صفيه، وبقوته الإلهية التي لا تغلب، أسقط مؤامرة أعدائه.

(٦) عاش داود أياماً عصيبة، فقد ضايقه أعداؤه. وكادوا يفتكون به. ولكن الله وضع عليه حمايته ثم نصره، فامتلاً قلبه بالفرح. لأن أعداءه أصبحوا في أسفل، بعد الهزيمة التي منوا بها. لذلك فهو فخور، ليس بنفسه بل بالله، الذي لم يمنع رحمته عنه. وبدهي أن يمتلئ قلبه بعواطف الشكر، وأن يرتفع صوته بأطيب الأغاني الروحية.

لقد تعلم النبي الكريم من انتصاره على جليات الجبار، أن الرب أخذ بيده. لذلك إن هجم عليه جيش شاول، ليدمره مع جماعته الصغيرة، فهو لن يفقد اطمئنانه. لأن الله سيخزي أعداءه. ويخرجه من وسط الحرب ظافراً ومنتصراً.

قال يسوع لخاصته: «فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ، وَلَكِنْ تَقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٦: ٣٣) ونحن الذين آلت إلينا كلمة المسيح، يجب أن نتق في عناية الرب، الذي غلب العالم وأعطانا الغلبة. لنا إيمان وإيماننا سيغلب، ينتصر ويتزكى بقوة الرب الفادي المنتصر. ولنا رجاء ينتظر وسينال ما يرجوه. لأن الله حسب رحمته الكثيرة، ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات (رسالة بطرس الأولى ١: ٣) ولنا محبة تطرد الخوف إلى خارج، لأنها تحتل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء.

(٤) شيء واحد، كان يشتهي هذا المؤمن المتكل على إله خلاصه. وهو أن يكون الرب معه، ليس في وقت اشتداد الضيق وحسب بل أيضاً في كل أدوار حياته. فهو يحب التأمل في جمالات الله، التي تترأى له في أمانته مع خائفيه.

هذا حين عميق جداً، حري بكل إنسان أن يمتلئ به. فيكون قلبه في جوار الله، ليتبعد له في خشوع المحبة. فليتك يا أخي تتمثل بهذا الرجل الكبير، الذي سلم قلبه كلياً لله وجعله متكله في كل حين.

(٥) كان يوم الشر حينئذ بالنسبة لداود، موجوداً فعلاً. لأن أعداءه، كانوا يترصدونه نهراً ولبلاً للقضاء عليه. ولكن ثقته في الله، كانت أقوى من يوم الشر. كان موقناً بأن الرب، سيخبئه في مظلة حمايته في يوم الشر.

الترنيمه

| | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| أَوْصَافُ مُلْكِ الْبَارِي | بِرِّ سَلَامٍ مَعَ سُرُورٍ |
| لِلْمُؤْمِنِ الْمُخْتَارِ | تَبْقَى إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ |
| مِنْ رَبِّهِمْ حُلُومٌ ثَمِينٌ | هَذَا سَلَامٌ الْمُؤْمِنِينَ |
| سَلَامٌ كُلِّ حِينٍ | سَلَامٌ سَلَامٌ |
| هَذَا السَّلَامُ الْأَسْمَى | لَا تَقْدِرُ الدُّنْيَا تَنْبِيلَ |
| تِلْكَ الْعَطَايَا الْعُظْمَى | كَلَّا وَلَا عَنَّا تَنْزِيلَ |
| رَبِّ الْفَدَى بِالصَّلْبِ | هَذَا سَلَامٌ لِي سَرَاهُ |
| يُزَوِّي ظَمَاءَ الْقَلْبِ | كَالْتَهْرِ يَجْرِي فِي صَفَاةِ |
| هَذَا السَّلَامُ الْبَاقِي | الْأَمْنِ فِيهِ وَالْهَجُوعِ |

نحن نعيش في زمن، مفعم بالخوف من أخطار الحروب ولهذا تنشأ في كل مدينة ملاجئ، وتوضع تحت تصرف الدفاع المدني لوقاية السكان، أثناء الغارات الجوية، ولكن هذه الملاجئ مهما بلغت متانتها، ليست ضماناً أكيدة مائة في المائة. فقد تصاب الأبنية، التي شيدت الملاجئ تحتها بالقنابل الشديدة الانفجار مباشرة، فتدمر كلياً، وهلك جميع من فيها. وقد لا يصل الجميع إلى الملاجئ في يوم الشر، فيبقى الخطر ماثلاً. أما الملجأ الحصين، الرب يسوع المسيح فهو ضمان أكيد.

فَإِنَّمَا الْمَعْطِيُّ يَسُوعُ
إِنْ تَطْمَحُوا حَوْلِي النَّائِبَاتُ
يَدْمُ سَلَامِي فِي ثَبَاتٍ
بَاقٍ عَلَى الْمَيْتَاقِ
كَاللَّحِ وَسَطِ الْبَحْرِ
أَسَاسُهُ فِي الصَّخْرِ

شيء من هذا حدث لسمعان بطرس، رسول المسيح. فيما كان مع التلاميذ الآخرين وسط اللجة، معذبين من الامواج، وكان الوقت ليلاً، جاء يسوع ماشياً على صفحة الماء، فخافوا إذ ظنوه شبحاً. ولما أعلن لهم ذاته قائلاً: أنا هو لا تخافوا، سأله بطرس: إن كنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء. فاستجاب لرغبته، وأعطاه القدرة على المشي على الماء. ولكنه إذ كان قصده أن يظهر عظمة إيمانه، تملكه الزهو وراح ينظر إلى نفسه. حينئذ هاجمه الخوف، وابتدأ يغرق. وفي غمرة خوفه صرخ: يا رب نجني! ففي الحال مد يسوع يده، وأمسك به (الإنجيل بحسب متى ١٤: ٢٧-٣١).

الصلاة:

أهيا الرب أنت نورنا، الذي نهتدي به في هذا العالم المظلم. وأنت خلاصنا، الموهوب بالنعمة، وقد خلصتنا. وأنت سلامنا وقد وهبتنا سلام الله الذي يفوق كل عقل. وأنت معيننا الذي فيه نحتمي ضد عاديات هذا الدهر. يا رب ابسط حمايتك على أوطاننا، المهتدة بدمار الحروب. يا رب انشر سلامك في عالمنا المضطرب، وافعم به كل قلب. حتى يهدأ اضطرابه، ويتحول إلى هيكل مقدس، يليق بسكنى روحك القدوس. آمين.

السؤال:

١٣ - ماذا نتعلم من اختبارات داود، التي بسطها في هذه الآيات؟

الْمَرْمُورُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - تابع

كان بطرس يحسن السباحة، ولكنه يؤس من النجاة، فطلب مساعدة الرب يسوع. وكانت صلاته من كلمتين: «يا رب نجني». ولكن صلاته الموجزة اقتدرت في فعلها، لأنه وجهها إلى من يجب أن توجه إليه. نعم إن بطرس أخذ بالزهو، حتى تحول نظره عن المسيح إلى نفسه. ولكنه استدرك قبل فوات الوقت وصرخ إلى يسوع فنجاه. هذه الحادثة تعلمنا أن لا نعرض أنفسنا للخطر، لكي ينقذنا الله منه.

٧ اسْتَمِعْ يَا رَبُّ. بِصَوْتِي أَدْعُو فَأَرْحَمْنِي وَأَسْتَجِبْ لِي.
اللَّهِ قَالَ قَلْبِي: «قُلْتُ أَطْلُبُوا وَجْهِي. وَجْهَكَ يَا رَبُّ
أَطْلُبُ». ٩ لَا تَحْبُبْ وَجْهَكَ عَنِّي. لَا تَحْبِبْ بِسَخَطِ
عَبْدِكَ. قَدْ كُنْتُ عَوْنِي، فَلَا تَرْفُضْنِي وَلَا تَتْرُكْنِي يَا إِلَهَ
خَلَاصِي. ١٠ إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضْمُنِي.
١١ عَلَّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ، وَأَهْدِنِي فِي سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ
بِسَبَبِ أَعْدَائِي. ١٢ لَا تَسْلَمْنِي إِلَى مَرَامِ مَضَائِقِي، لِأَنَّهُ قَدْ
قَامَ عَلَيَّ شُهُودٌ زُورٌ وَنَافِثٌ ظَلَمَ. ١٣ الْوَلَا أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنْ
أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ ١٤ أَنْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدَ
وَلِيَتَشَجَّعَ قَلْبُكَ وَأَنْتَظِرِ الرَّبَّ.

إن كلمة المسيح «لا تخافوا» قد كتبت في الإنجيل بإلهام الروح القدس من أجلنا. حتى حين نتلوها، نتذكر أن السيد الرب، الذي انتهر العاصفة وأسكتها. وأتاح لسمعان بطرس أن يمشي على صفحة الماء، ما زال هو هو، يستطيع أن ينتهر مخاوفنا ويسير بنا فوق أمواج مضايقات هذا الدهر. وحين تعج الأمواج، غمراً ينادي غمراً محاولة أن تبتلعنا، يمد يده المقتدرة ويمسك بنا.

(٧) يصلي أيضاً النبي، طالباً الرحمة بتضرع ملح. ليس لأن الله لم يسمع له وينقذه من الضيق، بل لأنه شعر بحاجة إلى الاقتراب إلى الله أكثر. وهذا لا يأتي، إلا بانكسار القلب أمام الله. ولعله بالغ في فرحه بالانتصار على أعدائه، حتى صار عنده شيء من الزهو المتعالي، الذي هو مكرهه في عيني الرب. ولكن الله الذي تعهده بالعناية، لم يتركه يذهب بعيداً في زهوه. فسرعان ما أوجد فيه الشعور بالمدنونية، فتكدت بهجة خلاصه، وتضايقت روحه في داخله. فأن وتذلل بانكسار قلب، واسترحم بلجاجة من يشعر ببعده الاستجابة لسؤله.

كان داود النبي والمرنم والملك مطيعاً، إذ صدع بأمر الرب. وطلب وجهه، والتمس رضاه، تاركاً لنا مثلاً في طرق باب النعمة لنيل المزيد من البركات. هذا متاح لنا وعلى نطاق أوسع، لأن النعمة صارت لنا في يسوع المسيح فادينا وشفيعنا. ولنا منه الوعد بأن الباب لا يوصد في وجوهنا، بل دليل قوله: «اقرعوا يفتح لكم».

قال إشعياء النبي: «أَطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. أَدْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ» (إشعياء ٥٥: ٦) هذا القول الإلهي المشجع يتضمن دعوة صريحة لكل مؤمن أن يسرع بطلب وجه الله سريعاً، قبل فوات الأوان. صحيح أن الله يتأني علينا، ولا يشأ أن يهلك أناس. ولكن المسيح حذر من التلكؤ في

الإهانات والآلام حتى موت الصليب، لكي يوقفنا في يوم الابتهاج، أمام أبيه قديسين وبلا لوم في المحبة.

(١٤) في ختام هذا المزمور المجيد، يشعرنا داود، بأنه تلقى جواب الرب على صلاته. كأنه يقول له: ليكن لك إيمان منتظر وتشدد. لأن الإيمان الذي لا ينتظر الرب، هو إيمان ضعيف. كلنا نحتاج إلى الإيمان المنتظر الرب، لئلا نكل ونعثر ونسقط. قال أحد الأتقياء: نحن ننتظر الرب، أولاً لأجل الخلاص. وبعد ذلك نتعلم أن الخلاص، إنما يأتي بنا إلى الله. ويعلمنا أن ننتظره.

ليتك تتعلم هذا الدرس، أنك لست في سبيل انتظار نفسك، حتى ترى ما هو شعورك، وماذا يحدث داخلك. وإنما تنتظر الرب، الذي يريد أن يعمل فيك أكثر مما تفتكر. ليتك تثق فيه وتنتظره، ليتقوى ويتشجع قلبك. لا تدع شيئاً في السماء أو الأرض، يحرملك من انتظار الرب. انتظره واثقاً من أن هذا الانتظار، لا يمكن أن يكون باطلاً. انتظر الرب في روح الرجاء الكلي، عالماً أن الذي تنتظره هو الله، الذي يسر قلبه أن يشجع قلبك ويباركك بكل بركة.

الترنيمه

قرار
أَقْدِمُ الْحَمْدَ الْكَثِيرَ
لِسَيِّدِي أَلْرَبِّ أَقْدِيرَ
أَلْرَبِّ نُورِي مُتَّقِدِي
إِذْنُ فَمِمَّنْ أَجْزَعُ
حِصْنُ حَيَاتِي خَالِقِي
إِذْنُ فَمِمَّنْ أَفْزَعُ
وَعِنْدَمَا قَامَ أَلْعَدَى
فِي شَرِّ قَلْبِهِمْ عَلَيَّ
قَدِ عَثَرُوا وَأَنْقَلَبُوا
وَمِ يَصِيبُنِي قَطُّ شَيْءٍ
إِنْ يَعْزُبِي أَلْعَدَى
فَإِنِّي لَا أَرْتَجِبُ
مَهْمَا تَكُنْ قُوَّاتِهِمْ
ضِدِّي فَلَسْتُ أَضْطَرِبُ
رَبُّ أَلْسَمَا يَحْفَظُنِي
يَوْمَ أَلْبَلَايَا وَالشَّرُورِ
يُجْبَأُنِي لِي سَاتِرًا
يَوْمَ أَلْبَلَايَا وَالشَّرُورِ
عَلَى مَنَبِعِ صَخْرَةٍ
يَرْفَعُنِي أَلْرَبُّ أَلْمَعِينِ
وَأَلآنَ تَغْلُو هَامَتِي
عَلَى أَلْعَدَى وَالْمُبْغِضِينَ
فَأَسْمَعُ وَأُصْغِرُ لِنِدَائِي
أَجِبْ صَلَاتِي وَدَعَائِي
وَإِذَا دَعَا رَاحِمًا

الصلاة:

يا ساكناً في الأعالي، في نور لا يدنى منه تبارك اسمك، يا إلهنا العظيم. لك نرفع أصواتنا، بالحمد والتسبيح والهللويات. ونصلي شاكرين، لأجل سيرة رجالك الأمانة، الذين اختبروا خلاصك وعنايتك الراحمة. وكتبوا لنا كل ما

طلب وجه الله. إذ قال: «أَلتُّورُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلًا بَعْدُ، فَيَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمْ أَلتُّورُ لئَلَّا يُدْرِكَكُمْ أَلظَّلَامُ. وَأَلَّذِي يَسِيرُ فِي أَلظَّلَامِ لَا يَعْزُبُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. مَا دَامَ لَكُمْ أَلتُّورُ آمِنُوا بِأَلنُّورِ لِتَصِيرُوا أُنْبَاءَ أَلنُّورِ» (يوحنا ١٢: ٣٥ و٣٦) ونفهم من هذه الآيات أن قصد الله من حلمه، هو قيادة الناس إلى التوبة لئلا يهلكوا. هكذا نقرأ في كتابه العزيز: «حَيُّ أَنَا يَقُولُ أَلسَّيِّدُ أَلْرَبِّ، إِنِّي لَا أَسْرُّ بِمَوْتِ أَلشَّرِّيرِ، بَلْ بَأَنَّ يَرْجِعَ أَلشَّرِّيرُ عَن طَرِيقِهِ وَيَحْيَا» (حزقيال ٣٣: ١١).

(٩) يتابع النبي المصلي في توسلاته، فيسأل ربه أن لا يحجب وجهه عنه، وأن لا يسخطه بغضبه، لئلا يخيب. وفي توسله يتجاسر على أن يذكر الله بالأيام السالفة، التي كان فيها عوناً مستديماً له. كأنه يقول له: إن خيبتني غير لائقة بلطفك، الذي عهدته واختبرت غناه بالمراحم الكثيرة. هذه هي صلاة الجهاد، التي أشار إليها الرب يسوع في مثل قاضي الظلم، عن تلك المرأة التي تجاسرت على القاضي بلجاجة شديدة، حتى اضطرت له أن يصفها. ومثل جهاد يعقوب مع ملاك الرب والتشبه به، قائلاً: لا أطلقك إن لم تباركني.

(١٠) ويبلغ داود الذروة، في الاستعطاف واستدرا رافة الله. ويبيدي في كلماته أروع مظاهر الإيمان الحي الواصل في الله، الراجي رحمته. وذلك في قوله: «إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمنني» هذه العبارات تذكرنا بما فعله يسوع للشباب، الذي وُلِدَ أعمى. فهذا المسكين، حين طرده رجال الدين من المجمع، وتكر له والداه، وجده يسوع وضمه إلى خاصته المفديين. ويسوع الذي جسد محبة الله، ما زال يجد ويقبل جميع الذين يبندهم العالم من أجل اسمه.

«فَقُورًا عَلَيَّ (١١-١٣) فِي الْقَدِيمِ قَالَ لِلشَّعْبِ بِوَأَسْطَةِ النَّبِيِّ أَلطَّرِيقُ وَأَنْظُرُوا، وَأَسْأَلُوا عَن أَلسُّبُلِ أَلْقَدِيمَةِ: أَيْنَ هُوَ أَلطَّرِيقُ أَلصَّالِحِ» (إرميا ٦: ١٦) وداود سأل الرب، أن يعلمه طريقه. أما نحن فقد خصنا الله بنعمة فائقة، إذ لم يأمرنا بالبحث عن الطريق الصالح. ولم ينتظر أن نسأله، لكي يعلمنا طريقه. بل جاء هو نفسه في المسيح وقال «أَنَا هُوَ أَلطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ... تَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ أَلتَّائِبِينَ وَالتَّقِيلِي أَلْأَحْمَالَ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٤: ٦، الإنجيل بحسب متى ١١: ٢٨).

ولم ينتظر أن نسأله الحماية من أعدائنا ومن ظلمهم وافتراءات ألسنتهم، بل هو نفسه وقف في المحاكمة، وتعرض لألسنة شهود الزور، وظلم قيافا، وزبانية الأشرار. واحتمل

يديه ورجليه. بعد أن تخلت عنه الإنسانية، التي جاء ليفتديها من لعنة الناموس. هذا هو السر في ستر خطايانا، إن يسوع وهو متخذ صفة حمل الله، حملها في جسده على الخشبة. فتم القول النبوي: «وَعَبْدِي أَلْبَارُ بِمَعْرِفَتِهِ يُبْرَرُ كَثِيرِينَ، وَأَتَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا» (إشعيا ٥٣: ١١).

خبروه من عمل رحمتك. تعهدنا بهذه الرحمة يا أبانا، واعطنا الإيمان الواثق لكي نطلب وجهك الكريم. اعطنا روح الانتظار، وشدد وشجع قلوبنا، حتى نثبت، ونمضي في طريقك. ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكملة يسوع. أمين.

السؤال:

١٤ - ماذا طلب النبي في صلاته؟

الْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْثَلَاثُونَ - عظة مختبر

أَطْوَبِي لِلَّذِي غَفَرَ إِثْمَهُ وَسُتِرَتْ خَطِيئَتُهُ. ٢ طَوْبِي لِرَجُلٍ لَا يَجْسِبُ لَهُ أَلْرَبُّ خَطِيئَةً، وَلَا فِي رُوحِهِ غِشٌّ.

لم يكن المرئم ملاماً بسر الفداء، فقد كان هذا السر مكتوماً حتى عن الملائكة، ومحجاً في مكنونات التدبير الإلهي. لأن ملء الزمان، لم يكن قد جاء. بيد أن طيف الفادي، تراءى له، كما تراءى لأيوب الذي اشتهاه كمصالح بينه وبين الله (أيوب ٩: ٣٣) وكما تراءى لإشعيا في حمل يساق إلى الذبح ليكفر عن خطايا كثيرين ويشفع في المذنبين (إشعيا ٥٣: ١٢).

٣ لَمَّا سَكَتَ بَلِيَّتُ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي أَلْيَوْمِ كُلَّهُ، ٤ لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلْتَ عَلَيَّ نَهَاراً وَلَيْلاً. تَحَوَّلْتُ رُطُوبَتِي إِلَى يَبُوسَةٍ أَلْقِيظُ. ٥ سَلَاةٌ. ٥ أَعْتَرَفْتُ لَكَ بِخَطِيئَتِي وَلَا أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرَفْتُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيئَتِي. ٦ سَلَاةٌ. ٦ لِهَذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي وَقْتِ يَجِدُكَ فِيهِ. عِنْدَ غَمَارَةِ أَلْمِيَاهِ أَلْكَثِيرَةِ إِيَّاهُ لَا تُصِيبُ. ٧ أَنْتَ سِتْرٌ لِي. مِنْ أَلْضَيْقِ تَحْفَظْنِي. بِرَنِّمِ أَلنَّجَاةَ تَكْتَنِفْنِي. ٨ سَلَاةٌ.

(٣) لقد كتم داود خطاياه حصة من الزمن، قبل أن يتوب عنها ويتركها. ولكن في لحظة من لحظات العمر السعيدة، أعلن له إن من يكتم خطاياه لا ينجح، وأن من يقر بها ويتركها يرحم. وإذا به يصرخ من خلال دموعه: لماذا حجت عن الإقرار بذنوبي، ولماذا لم أتب. حتى وقعت في ويل عظيم، لكأن عظامي فريت من شدة تأوهاتي وزفاتي الحارة.

في هذا المزمور يبدو الكاتب، واعظاً مختبراً حياة الله. وهو من مزامير التوبة، التي أحبها أغسطينوس. ويرجع ثقات المفسرين أن داود كتب هذا المزمور، بعد أن تأكد من غفران الخطية المزدوجة التي ارتكبها ضد أوريا الحثي وزوجته.

هل مرتت في حالة كهذه؟ وهل انتابك شعور بالانزعاج من كتم خطاياك؟ هذا فعل الروح القدس، الذي يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة (الإنجيل بحسب يوحنا ١٦: ٨).

(١ و ٢) إن أشعة الغفران، التي سطعت في قلب المرئم، لم تلبث أن عبر عنها بهذه الكلمات: «طوبى للذي غفر إثمهُ وَسُتِرَتْ خَطِيئَتُهُ» من المؤكد أنه ليس من طبيعة الله أن يمالئ الخطية، ولكنه يغفرها للتائب. وعندئذ يسدل عليها الستر. هكذا يقول الرب «قَدْ حَوَّتْ كَعْنِيمُ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٌ خَطَايَاكَ. إِرْجِعْ إِلَيَّ لِأَنِّي فَدَيْتُكَ» (إشعيا ٤٤: ٢٢) وقد أخبرنا الرب يسوع، أنه «يَكُونُ فَرْحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئِ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَاراً لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (الإنجيل بحسب لوقا ١٥: ٧).

فَدَاكَ صَوْتُ الرُّوحِ لَا تَرْفُضُهُ إِنْ كُنْتَ أَلْحَكِيمُ مُنْبَهًا إِيَّاكَ أَنْ تَحْتَارَ حَظًّا فِي أَلْتَّعِيمِ (٤ و ٥) كان التبيكيت شديداً على داود، وعاملاً في تأنيبه باستمرار. وقد عبر عنه بيد الله الثقيلة. وهذه أقصى وخزات الضمير، التي عكرت عليه هدوءه، وجعلته في حالة عقيمة. حتى شبه نفسه بشجرة نخرتها الديدان، فجفت ويبست. قد تبدو هذه الحالة التي وصل إليها، قريبة من اليأس. ولكنها حالة مباركة بالنسبة إلى الخاطئ، الذي أقر بعجزه واعترف بذنبه. لأن الإقرار بالذنب. يؤول إلى تدخل رحمة الله بالغفران فيغفر الإثم، ويستتر الخطية.

نعم إن الإقرار بالإفلاس والاعتراف بالذنب. رفع عن المرئم ذلك الوزر الثقيل من خطاياه، التي ناء بحملها. يا ليت كل خاطئ يقتدي بهذا الرجل الكبير، فيندم على خطاياه ويعترف بها.

من المسلم به أن المسيحية، لا تهون من أمر الخطية، ولا تقلل من أضرار عواقبها. ومن خامره هذا الظن، فليعد إلى تلك اللحظة المروعة من تاريخ الفداء، حين شوهد ربنا ومخلصنا يسوع، معلقاً بين السماء والأرض، ومسمراً في

السؤال:

١٥ - كيف كانت حال داود عندما نظم المزمور ٣٢؟

الْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْثَلَاثُونَ - تَمَّة

٨ أَعْلَمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ. ٩ لَا تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلَا فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يَكُمُّ لِنَلَا يَدْنُو إِلَيْكَ. ١٠ كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشَّرِيرِ، أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ. ١١ أَفْرَحُوا بِالرَّبِّ وَأَبْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصَّادِقُونَ، وَأَهْتَفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

(٨) كانت صلاة المرئم صلاة إيمان، وصلاة الإيمان تقتدر كثيراً في فعلها. إنها تحرك قلب الله فيفتح خزائن البركة للإنسان فيشبعه بالخير. كان سؤال داود الأول أن يعرف طرق الله، وقد ترددت هذه الطلبة كثيراً في المزامير التي كتبها. وهنا نرى جواب الله لصلاته «أعلمك، أرشدك الطريق».

في العهد القديم، كان الأتقياء يتلمسون طرقهم في ظل الخوف من الضلال والتعثر. ولهذا كثرت في صلواتهم هذه الطلبة: علمني طريقك، أو سهل قدامي طريقك. ولكن أقصى ما نالته صلواتهم هو هذا الوعد: أرشدك الطريق التي تسلكها، عيني عليك. أما في العهد الجديد، عهد النعمة والحق، فقد صار لنا امتياز أفضل. لأن الرب نفسه، جاء وأعلن ذاته أنه الطريق والحق والحياة.

الرب يسوع هو الطريق، التي أشار إليها إشعياء بقوله: «وَتَكُونُ هُنَاكَ سَكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا الطَّرِيقُ الْمَقْدَسَةُ... مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى الْجُهَالِ لَا يَضِلُّ» (إشعياء ٣٥: ٨). ولسعادتنا فإن المسيح هو الطريق لنا، لأننا به ندخل إلى حظيرة الله. لما عجزنا عن الوصول إلى شجرة الحياة عن طريق براءتنا، صار المسيح لنا طريقاً إليها. ولغبطتنا فإنه بالمسيح الطريق، وجدت صلة بين السماء والأرض. فملائكة الله تصعد وتنزل، وصلواتنا تصعد إلى الله به، وبركات الله تأتي إلينا به. وهو الطريق المؤدية إلى الراحة في جوار الله.

أنا هو الطريق إلى الأب، قال يسوع لأني أفتحه بموتي. كان الناس ضالين، يجهلون الطريق، فأنا الحق وأنا نور العالم، لأري الناس الطريق. أنهم موتى بالخطية، وأنا الحياة جئت لأحيي نفوسهم، وأقدرهم على أن يروا الطريق ويسلكوا

(٦) كان داود في ذروة الانزعاج من حمل خطايه، حتى شبه نفسه بغريق توشك غمارة المياه أن تبتلعه. وبدهي أنه يرفع قلبه بالصلاة في مثل هذه الحالة الخطرة، طالباً من الله، أن يمد يمينه المقتدرة وينقذه.

أها الرازح تحت ثقل أوزارك، يا من أعيتك المهموم، وأحنت الأتعاب ظهرك. تعال إلى فادي الخطاة ومريح التعالي. أجت عند قدميه، وصل وقل له: يا حمل الله رافع خطايا العالم، ارفع خطايي. احمل نيره عليك فتجد راحة لنفسك.

يَا كَلِيلًا بِالْخَطَايَا
قَالَ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ
اسْمَعِ الْمَسِيحِ
يَسْتَرِيحِ

(٧) في بدء المزمور، غبط المرئم الرجل الذي غفر إثمه، وسترت خطيته. وهذه الغبطة، لم تلبث أن حلت في نفسه، لما شهد له روح الرب أن آثامه قد غفرت، وأن خطايه قد سترت. وتبعاً لذلك، امتلأ قلبه بالفرح، وطفق يشدو ترنماً. وأنها لغبطة حقاً، أن يشعر الإنسان بأن الله، قد قبل توبته وغفر ذنوبه. وأنها لسعادة حقاً أن يعرف الإنسان أن دم الفادي يسوع يظهر قلبه من كل خطية. فينقي القلب، «وطوبى لأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

الترنمة

طُوبَى لِمَنْ غُفِرَتْ
وَلِلَّذِينَ سَتَرَتْ
طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَحْسِبِ
وَلِلَّذِي لَمْ يَكْذِبِ
قَدْ أَعْرَفْتُ بِالْعَلْنِ
وَأَنْتَ قَدْ صَفَحْتَ عَنِّي
فَلْيَبْتَهِجْ عَلَى الدَّوَامِ
وَلْيَفْتَحْزْ مَنْ اسْتَقَامَ
لَهُمْ ذُنُوبُهُمْ
أَيْضاً عَيُوبُهُمْ
رَبِّي لَهُ زَلَلٌ
بِالْغَشِّ وَالْحَيْلِ
إِلَيْكَ يَا عَلِيمِ
إِثْمِي الْجَسِيمِ
صَلِّيقُ رَبِّي
سَبِيلَ قَلْبِي

الصلاة:

أها الإله المحب الشفوق. نشكرك لأجل سترك، الذي اسدلته على عيوبنا. حتى لا نقف في اليوم الأخير، ولنا خزي الوجه. نشكرك لأجل وسيط الصلح، ربنا يسوع، الذي غسلنا من خطايانا، واقتننا لك بالنعمة المنعمة. ثبتنا في القداسة، التي اشتراها لنا يسوع بدمه الثمين. آمين.

ولعل السبب في ذلك، يعود إلى خطية في حياته، نسي أن يتطهر منها.

زار أحدهم منطقة الحفائر في روما، حيث كان العمال يزيلون النفايات المتراكمة هناك. وفيما هم يعملون، تدفقت المياه من ينبوع، كان مكبوتاً منذ أمد طويل. هذا الينبوع، كان في السابق يتدفق، وتتألاً مياهه في نور الشمس وإنما النفايات خنقته. هكذا المؤمن الفاتر، في قلبه ينبوع فرح، يريد ان يتدفق. ولكن الخطايا المتراكمة، تسد منفذه وتمنعه من الجريان.

لا بد يا أخي المؤمن أن فرح الله بدأ في حياتك في ساعة خالدة، حين جثوت لأول مرة عند قدمي يسوع وسلمته قلبك، فسطع نور الله في قلبك. ولكن لعلك انسقت في تيار العالم، ففترت محبتك. وتبعاً لذلك، فقدت بهجة خلاصك، وأصبحت كئيباً قلقاً. هكذا كانت حالة داود كاتب هذا المزمور، حين أخطأ إلى إلهه. ولكن داود، لم يبق رازحاً تحت وزره الثقيل الممض. بل طلب الله بروح منسحق وسأل الله أن يغسله من إثمه، وأن يمحو معصيته. هذا هو الموقف الواجب أن تتخذه أمام الله، حين تفقد الفرحة. فيعيد لك الرب بهجة خلاصه ويعضدك بروحه القدوس، فيثبت فرح الله فيك ويكمل فرحك.

الترنيمَة

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| آه غُفْرَانَ الدُّنُوبِ | فِيهِ بِهِجَةٌ الْقُلُوبِ |
| فِيهِ فُزْتُ بِالْفِدَاءِ | لَاغْتِسَالِي بِالْمَاءِ |
| مَتَّ إِذْ مَاتَ الذَّبِيحُ | قَمْتُ إِذْ قَامَ الْمَسِيحُ |
| عِنْدَ مَوْطِي قَدَمَيْهِ | ثَابَتُ قَلْبِي لَدَيْهِ |
| ذَلِكَ الْحُبُّ الْعَظِيمُ | يُرْشِدُ الْخَاطِي الْأَثِيمُ |
| وإلى دَهْرٍ الدُّهُورِ | يُنْقِذُ الْفَادِي الْعَفُورِ |
| صَدْرُ فَادِينَا الْخُنُونِ | رَاحَتِي وَقْتَ الشُّجُونِ |
| هُوَ يُنْبِئُ السَّلَامَ | وَعَزَائِي فِي الْخِتَامِ |

الصلاة:

يا رب إلهي، ضللت في برية هذا العالم، فأرشدني إلى الطريق المستقيمة التي تؤدي بي إليك. لقد أخطأت وأثمت، ولكنني التمس مراحمك. إنني أقر بضعفي، ولا أكتم إثمي، فاغفر لي. رد لي بهجة خلاصك، واعضدني بروحك القدوس، لكي أثبت في فرحك، ويكمل فرحي، أشكرك من أجل صدر فادينا الحنون الذي يستطيع كل متعب أن

فيها. أنا هو الطريق، التي يسير الخاطيء فيها، من الأرض إلى السماء، ومن حال الخطية إلى القداسة ومن العداوة لله، إلى المصالحة معه. والمسيح كرس تلك الطريق بسفك دمه (عبرانيين ١٠: ٢٢). فالفاصل بين الإنسان والله ليس البعد بين السماء والأرض، بل خطايا الإنسان، ولسعادة البشرية، فإن المسيح قد أزال ذلك الفاصل حين علق على الصليب، وكان مفتاح الطريق كلمته الودية «اتبعني» فهل تتبعه؟ افعل إن كنت الحكيم، لأنه الطريق إلى حياة الله.

(٩ و ١٠) إن السير في طريق يسوع يقابل بدعوة إلى الطاعة والخضوع لمشيئة الله. وكما أن يسوع هو الطريق الواجب أن نسلكها للوصول إلى حضرة الله. فهو أيضاً المثال، الواجب أن نتبعه. فقد أطاع الأب في كل شيء وسلمه كل شيء، إذ قال في صلاته قبل ذهابه للموت: ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت (الإنجيل بحسب مرقس ١٤: ٣٥) وكم يجب أن نشكر الله لأجل طاعة المسيح، الذي لم يكن لأحد سلطاناً أن يأخذ حياته منه. ولكنه وضعها من ذاته، وفقاً للمشورة الإلهية لأجل خلاصنا. فصار القول الرسولي «مَعَ كَوْنِهِ أَبْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كَمَّلَ صَارَ لَجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاصٍ أَبَدِيٍّ» (الرسالة إلى العبرانيين ٥: ٨ و ٩).

عليك بالطاعة حباً بالله، الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله من أجلك. لأن الله لا يرغب في ان يخضعك عنوة. الله يسألك الطاعة، لكي لا تذخر غضباً لنفسك في يوم الغضب واستعلان دينونة الله. إن محبته تشاء أن تحفظك من النكبات المذخرة للشرير، بسبب قساوة قلبه وتمرده على الله. بعكس الذي جعل الرب متكلمه، ولم يلتفت إلى الخطاريس والمنحرفين، فهذا محاط برحمة الله، وموضوع لعنايته باستمرار.

(١١) في إحدى عظاته الرائعة قال يسوع: كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم. وهذه الحقيقة أدركها رجل الله نحميا، فكتب لنا وصيته الخالدة: «لا تَحْزَنُوا لِأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ» (نحميا ٨: ١٠) وأدركها رسول الجهاد العظيم بولس، فكتب وصيته، التي هي أشبه بأمر يوصي، إذ قال «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا». ونفهم من هذه الشهادات الرائعة أن الفرحة من أهم امتيازات المؤمنين بالله. فإن كان أحد مدعواً مؤمناً، وليس فرحه كاملاً، فالعنى أنه لم يدخل إلى قلب كلمة المسيح «ليكمل فرحكم» وبالتالي فإنه لم يتمتع بامتيازات ملكوت الله، الذي ثماره: بر سلام، فرح في الروح القدس.

الخيرات الزمنية. لذلك يقول للمؤمنين إن كنا نخلو من الآلام التي يسمح الله بها لأجل تدريبنا، فإن بنوتنا له تكون محل ريبة، بدليل قوله: «إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمْ اللَّهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نَعُولُ لَا بَنُونَ» (الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٧ و٨).

(٢) لقد تصور النبي إمارات غضب الله وكأنها سهام مسنونة، تنزل على المغضوب عليهم، فارتجف قلبه إذ ظن أن يد العدل الإلهي سيطلقها الله عليه. وليس في استطاعته أن ينجو من تلك السهام، التي ستنتشب به.

صحيح أن في يد الله سهام يطلقها إلى القلب مباشرة، ولكن تلك سهام التبكيت على خطية اقترناها ضد الله، وعلى بر لم نثبت فيه باستمرار، وعلى دينونة قادمة، حين سنظهر جميعاً أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً، كان أم شراً (كورنثوس الثانية ٥: ١٠) ولكن شكراً لله لأن الخطية تُغفر للإنسان لأجل اسم المسيح، ولأن بر المسيح لا يزول، ولأنه لا شيء من الدينونة على الذين هم في المسيح.

(٣) أتعبت الخطية نفس النبي، وبسبب اكتسابه الدائم ضعف جسده. فأصبح في حالة سيئة، كالتى وصفها إشعياء النبي بالقول: «كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. مَنْ أَسْفَلَ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَصَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تَلَيَّنْ بِالزَّيْتِ» (إشعياء ١: ٥ و٦).

ويرى أغسطينوس أن خطايا الأفراد تؤلم المسيح وخصوصاً إن كانت مرتكبة ضد مختاره، بدليل قوله لشاول الطرسوسي، لماذا تضطهدني؟ لأن شاول اضطهد كنيسة المسيح، فحسب الرب تلك الآلام التي عاناها المؤمنون به آلاماً له.

تذكر يا أخي أن امتناعك عن مد اليد لمساعدة المحتاج ويسط الكف للجائع والمحروم، معناه أنك تغلق أحشاءك عن يسوع نفسه. فقد قال له المجد «جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي... الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنْكُمُ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدٍ هُوَلاءِ الْأَصَاغِرِ فِيَّ لَمْ تَفْعَلُوا» (الإنجيل بحسب متى ٢٥: ٤٢-٤٥) لا تعش لنفسك، واعلم أن في الأناية إساءة إلى المسيح، الذي علم بنكران الذات.

يسند إليه رأسه، فيجد راحة وسلاماً، ولك باسمه كل المجد. آمين.

السؤال:

١٦ - بماذا أجاب الرب على صلاة داود؟

الْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالْثَلَاثُونَ - الانكسار أمام الرب

يَا رَبُّ لَا تُوبِّخْنِي بِسَخَطِكَ، وَلَا تُؤَدِّبْنِي بِعَيْظِكَ، لِأَنَّ سِهَامَكَ قَدْ أَنْتَشَبَتْ فِيَّ، وَتَزَلَّتْ عَلَيَّ يَدُكَ. ٣ لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جَهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلَامَةٌ مِنْ جَهَةِ خَطِيئَتِي. ٤ لِأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتَ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلِ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ. ٥ قَدْ أَنْتَنْتَ، قَاحَتْ حُبْرُ ضَرْبِي مِنْ جَهَةِ حِمَاقَتِي. ٦ لَوَيْتُ. ٧ أَنْحَنَيْتُ إِلَى الْغَايَةِ. الْيَوْمَ كُلَّهُ ذَهَبْتُ حَزِيناً. ٧ لِأَنَّ خَاصِرَتِي قَدْ أَمْتَلَأَتَا أَحْتِرَاقاً، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ. ٨ خَدِرْتُ وَأَنْسَحَفْتُ إِلَى الْغَايَةِ. كُنْتُ أَنْفٌ مِنْ زَفِيرِ قَلْبِي.

هذا المزمور هو حلقة من سلسلة مزامير التوبة، وعنوانه «للتذكير». وبمراجعتنا ما جاء في صموئيل الثاني، الأصحاح الحادي عشر والثاني عشر ندرك أن داود كتب هذه السلسلة بعد خطيته المعروفة ضد أوريا الحثي. وفيها يظهر حزنه الشديد على خطيته، مما أفقده الراحة.

(١) يتذكر داود الراحة التي كانت له في الرب، فيبكي من أجل خطاياها، التي أفقدته بهجة الخلاص، وبالتالي ذهبت براحتة. فيسأل الله العفو، لكي لا يوبخه بالغضب، ولا يؤديه بالغيظ. بمعنى أنه لم يرفض التأديب الذي هو من افتقاد المحبة. ولكنه يتوسل إلى إلهه لكيلا يعاقبه بالغضب.

يعتقد الكثيرون من الناس بأن التأديب، هو نتيجة لغضب الله على الإنسان بسبب خطاياها. ولكن كلمة الله في أمثال ٣: ١١ و١٢ تكشف لنا أن التأديب هو دليل المحبة إذ يقول: «يَا ابْنِي، لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلَا تَكْرَهُ تَوْبِيخَهُ، لِأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَكَأَبِ ابْنٍ يُسَرُّ بِهِ» ويعلمنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن قصد الله من التأديب هو المنفعة لكي نشترك في قداسته.

ولعل كاتب الرسالة أراد أن ينزع من فكر الناس الفكرة الخاطئة التي تزعم أن الذين يجبههم الله، يجبوهم نجاحاً في

إِنَّ نَفْسِي يَا طَبِيبِي
فَأَمَّحَتْهَا بِالصَّلِيبِ
يَا وَسِيطَ الصَّلْحِ إِنِّي
قَدَّمُ الْطَلْبَةَ عَنِّي
إِنَّ قَلْبِي عَنِّي لَاهِي
فَأَعِنِّي يَا إِلَهِي
يَا مَسِيحَ اللَّهِ نَفْسِي
فَأَمَّحَتْهَا رُوحٌ قُدْسٍ

فِي فَسَادٍ وَشَقَاءٍ
مِنْ أَيَادِيكَ الشِّفَاءِ
مُسْتَجِيرٌ بِالصَّلِيبِ
لَأَبِيكَ أَلْمَسْتَجِيبِ
لِلخَطَا دَوْمًا يَمِيلُ
وَأَهْدِينِي حُسْنَ السَّبِيلِ
تَحْتَ رِقٍّ وَقَصَاصٍ
وَأَقْبَلْنَاهَا لِلخَلَاصِ

الصلاة:

يا إلهنا الصالح وأبا ربنا يسوع المسيح، منك يا رب نبتغي الصفح ونلتمس غفران الخطايا. يا رب انظر إلى عالمنا المليء بالشر، واشفق على هذه النفوس، التي لا تعرف ما هو لسلامها. افتح الأذهان البشرية لتعرفك في قداستك فتحزن بسبب آثامها، وتعود فتطلبك لانقاذها من حالتها المتردية. اعط قوة لانتشار إنجيلك في كل مكان، وهيء القلوب لقبوله، حتى تجد كل نفس ما هو لخيرها وخلصها. آمين.

السؤال:

١٧ - صف حال داود بالاستناد إلى النصوص أعلاه؟

الْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالْثَلَاثُونَ - تَتْمَةٌ

٩ يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تَأْوِهِي، وَتَنَهَّدِي لَيْسَ بِمَسْتَوِرٍ
عَنكَ. ١٠ قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقْتَنِي، وَنُورٌ عَيْنِي أَيْضًا
لَيْسَ مَعِي. ١١ أَحْبَابِي وَأَصْحَابِي يَقْفُونَ نَجَاهَ ضَرْبَتِي،
وَأَقَارِي وَقَفُوا بَعِيدًا. ١٢ وَطَالَبُوا نَفْسِي نَصَبُوا شُرَكَاءَ،
وَأَلْمَلْتِمُسُونَ لِي أَلْشَرَّ تَكَلَّمُوا بِالْمَفَاسِدِ، وَأَلْيَوْمَ كُلَّهُ
يَلْهَجُونَ بِالْغِشِّ.

١٣ وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمٌ لَا أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمٌ لَا يَفْتَحُ فَاةً.
١٤ وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لَا يَسْمَعُ، وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ.
١٥ أَلأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبْرْتُ، أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلَهِي.
١٦ أَلأَنِّي قُلْتُ: «لَيْلًا يَشْمَتُوا بِي». عِنْدَمَا زَلْتُ قَدَمِي
تَعْظُمُوا عَلَيَّ. ١٧ أَلأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَظْلَعُ، وَوَجِعِي مُقَابِلِي
دَائِمًا. ١٨ أَلأَنِّي أُخْبِرُ بِأَعْمِي وَأَعْتَمُّ مِنْ خَطِيئَتِي. ١٩ وَأَمَّا
أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونِي ظَلَمًا كَثُرُوا.
٢٠ وَالْمَجَارُونَ عَنِ الْخَيْرِ بَشَرٌ يَقَاوِمُونِي لِأَجْلِ اتِّبَاعِي
الصَّلَاحِ. ٢١ لَا تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلَهِي لَا تَبْعُدْ عَنِّي.
٢٢ أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلَاصِي.

(٦-٤) يصنع البعض الخطية، ويتلذذون بها. فهي خفيفة عليهم، لدرجة أنهم يفخرون بها. أما أبناء الله فيستقلونها، ويتململون من حملها، ويلجأون إلى الله ليزيحها عنهم. ولسعادتهم فإن الله إن كان يكره الخطية فهو يحب الخاطيء، ومسررة قلبه أن يترك خطاياهم ويحيا.

ويقول داود أن خطاياها علت فوق رأسه، وكانت ثقيلة بمقدار أنه راح يخفض ذلك الرأس، مقرأً بوضاعته بعد التعالي، وبضعفه بعد القوة. وبذلك أخذ مكانه أمام الله، الذي أمامه تجثو كل ركبة في السماء وعلى الأرض.

ويعترف داود بتلوث نفسه بالخطية ويصف تلك الحالة بالجراح المقيتة التي تفوح منها الروائح النتنة. والواقع أن الخطية نتنة جداً، ولذلك يأنفها المؤمن الذي تتضوع منه رائحة المسيح الذكية. هكذا قالت عروس النشيد: «لِرَائِحَةِ أَذْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. أَسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذَلِكَ أَحْبَبْتُكَ أَلْعَذَارَى» (نشيد ١: ٣). يقول المرنم أن جراحاته أنتنت بسبب حماقته. فليتنا نترك كل حماقة، والخطية المحيطة بنا ونجري وراء يسوع نحو جعالة دعوة الله العليا.

ويقول إنه كان ملتويًا منحنيًا من كثرة همومه، حزينًا من حاله السيئة. فمن هو الذي انحنى إلا الذي ارتفع؟ ولكن لسعادة داود أنه اتضع، وقد قال المسيح من يضع نفسه يرتفع. والمعروف عن الله، أنه يضع ثقلاً على المرتفع ينحني به. وهنيئاً للذي يعرف مشيئة الله بالاتضاع، هذا يتواضع وينكسر والله يعطي المتواضعين نعمة الارتفاع.

(٧ و ٨) الكلى أكثر أعضاء الجسم حساسية، وبالنسبة لكلمة المرنم فالكلية، تعني هنا أعماق الإنسان. فكانت أعماقه ممتلئة احتراقاً بسبب الخطية، التي حرمتها الراحة. لا تحف من احتراق الكلية يا أخي، فهو من عمل الروح القدس الذي يدفعك إلى الصلاة، التي حولها فيك إلى أنات وتنهدات وتأوهات لا ينطق بها. كما كانت حال المرنم، وهو يعلن شقاوته باتضاع كلي. لا تبتئس إذا عصفت بك هذه الآلام، فهي آلام التوبة وبركاتهما.

الترنيمه

مِنْكَ يَا فَادِي الْخَطَاةِ
أَنْتَ عَزَمِي وَتَبَاتِي
يَا مَنْجِي أَنْتَ حَبْرِي
وَفِدَائِي بَعْدَ أُسْرِي

يَبْتَغِي الْعَبْدُ النَّجَاةَ
فِي حَيَاةٍ وَوَفَاةٍ
وَمَلِيكِي وَاللَّبِّي
بِدَمٍ سَامٍ زَكِي

فَتَدَلَّلَ وَمَ يَفْتَحْ فَاهُ، كَشَاةً تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعَجَةٍ صَامِتَةٍ
أَمَامَ جَارِبِهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ» (إشعياء ٥٣: ٧).

لقد احتمل القدوس الحق الإهانات والأوجاع، لكي
ينجح المشورة الإلهية لخلاص العالم. لخلاصك أنت، أهما
القارئ الكريم. وهو لا يطلب مقابل ذلك، سوى الإيمان به
والإتكال على نعمته.

(١٥-٢٠) يقول المرنم أن الرب استجاب له، لأنه صبر
للرب، وقبل التأديب كبركة من يمينه. وهذا يعلمنا أن الله
لا يتخلى عن أتقيائه، الذين يحتملون الامتحان إلى النهاية
بإيمان وصبر، بل يطوبهم، وفقاً لقول المسيح: «طوبى
لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لِأَنَّ لَهُمْ مَمْلُوكَاتِ السَّمَاوَاتِ»
(الإنجيل بحسب متى ٥: ١٠).

(٢١ و ٢٢) يختتم داود المزمور بصلاة حارة طالباً عون
الرب. وهذه الطلبات تكشف عن نواح مهمة في طريقة
جهاده ضد الخطية. وهي تعلمنا أشياء مهمة، تساعدنا على
السير في سبيل البر:

١. إن سقوط الإنسان في خطية ما، سببه عدم ثباته في
الله. لذلك فالجهاد المثمر ضد الخطية، هو التمسك في
الله. ولسعادتنا فإن الله في عهد النعمة قريب جداً من
كل مؤمن يدعو، بدليل قول المسيح: ها أنا معكم
كل الأيام وإلى انقضاء الدهر. كذلك الروح القدس
يلازمنا دائماً، لأنه كما قال المسيح ماكن فينا.
٢. عند السقوط، لا تشغل نفسك بالحالة السيئة التي
صرت إليها بقدر ما ترفع نظرك إلى الرب يسوع.
فالسيد الرب بلفتة أنقذ بطرس من حالة التجديف
ونكران سيده، هو دائماً يعيرك اللفتة عينها وينقذك
من حالتك المتردية.
٣. تعلم من المسيح الاتضاع، واعترف بضعف طبيعتك
التي لا يمكن أن تنتج خيراً إلا بمعونة المسيح. لذلك
أدخله في حياتك عن طريق تجاوبك معه بالصلب.
افعل هذا، فيرفعك المسيح إلى حياته، وحينئذ يطيب
لك أن تقول مع بولس: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا
أَنَا بَلِ الْمَسِيحِ حَيًّا فِيَّ» (غلاطية ٢: ٢٠). وحينئذ
يطيب لك أن تنشد مع ميخا النبي: «لَا تَسْمَتِي بِإِذَا
عَدَوْتِي. إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ. إِذَا جَلَسْتُ فِي الظُّلْمَةِ
فَالرَّبُّ نُورٌ لِي. أَحْتَمِلُ غَضَبَ الرَّبِّ لِأَنِّي أَخْطَأْتُ إِلَيْهِ،
حَتَّى يُقِيمَ دَعْوَايَ وَيُجْرِيَ حَقِّي. سَيُخْرِجُنِي إِلَى التُّورِ.
سَأَنْظُرُ بَرَّهُ» (ميخا ٧: ٨ و ٩).

(٩-١٢) بعد أن وصف المرنم أوجاعه الجسدية والنفسية،
ارتدى عند قدمي إلهه ليسكب شكواه أمام رافته بتأوه
وتنهيد، من جراء تصرفات أحبائه وموقفهم السلبي مما
أصابه. وهذا يعلمنا أن لا نطلب التعزية من الناس. بل
من الله أبي الرأفة وإله كل تعزية. وبقيناً أن ترك الناس لنا،
لهو فرصة لنلقي كل رجاءنا على الله في التوبة. هكذا فعل
الابن الضال، حين تركه مريدوه بعد نفاذ ماله. إذ يجبرنا
الإنجيل أنه عاد إلى نفسه ورجع إلى أبيه تائباً ونادماً. لقد
استيقظ من نوم الموت، وكان حكيماً جداً، بحيث لم يؤجل،
بل قام وجاء إلى أبيه بدالة البنوة التي تثق في حنان الأبوة
ولطفها. وكان ذكي الفؤاد فلم يتقدم بحق البنوة الذي سبق
أن استنفده، بل طرق باب النعمة متدلاً. عندئذ أدركته
المحبة الأبوية، ولم تتركه في مرتبة الأجير، التي جاء يلتمسها،
بل رفعته إلى رتبة الابن المحبوب، إذ ألبسه الحلة الأولى،
ووضع خاتماً في إصبعه. وأقام على شرفه وليمة كبرى
قوامها العجل المسمن. هذه هي المعاملة التي يعاملنا بها
الأب السماوي، عند التوبة والرجوع إليه. فيلبسنا ثوب البر،
ويعدنا لوليمة عشاء الحروف، حيث سيطيب لنا أن نشترك
مع الملائكة في الترنيمة المجيدة التي تنطلق بها الأفواه مجدداً
للحمل.

ويقول المرنم بأسى: إن هؤلاء الأحباء والأقارب، الذين
لم يواسوني في بليتي، انضموا أخيراً إلى أعدائي، وشاركوهم
في الكيد لي. وعندما زلت قدماي، تعظمووا علي. هذا ما
يحدث فعلاً للتائبين، عندما تزل بهم القدم. يتعظم عليهم
أبناء هذا الدهر، ويشمتون بهم. لذلك احترز لنفسك يا
أخي، وشدد السهر لكيلا تزل. وإذا ابتليت بالضيقات
فاذكر أن الذي يحبه الرب يؤديه.

(١٣ و ١٤) تجاه البلايا من هذا النوع، يفضل المرنم
السكوت، إذ يقول: أما أنا فأبكم لا يفتح فاه. هذه الآيات
وسابقتها، فيها الكثير من وحي الفداء، لأنها كما قال بعض
آباء الكنيسة تنطبق على الأم ربنا وفادينا يسوع. لأن أحبائه
وأقاربه وقفوا بعيداً تجاه ضربته. فقد جرح في بيت أحبائه،
وخاصته ابتعدوا عنه هارين من صليبه. فقد قال تلميذه
المقدام سمعان بطرس: حاشاك يا رب أن تُصلب.
وأعداؤه التمسوا الشر، فقدموا شهود زور، ليثبتوا عليه حكم
الموت. وأخيراً لكي يهينوا اسمه صلوه بين لصين. كل هذا
حملة يسوع، ليزيل عنا وصمة الخطية وعارها. وفي مراحل
الآلام لم يعترض على الظلم، وكأبكم لم يفتح فاه. وإذ شتم، لم
يكن يشتم عوضاً. فتم ما قيل في الأنبياء «ظلمَ أَمَّا هُوَ

أَنْتَ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَمِلَاذَا تَنْنِينَ فِي؟ أَرْتَجِي إِلَهَ لَأَنِّي
بَعْدَ أَمِّهِ لِأَجْلِ خَلَاصِ وَجْهِهِ.

أجل إن المؤمن وإن سقط يقوم، وإن أدبه الرب فلا يرفضه. والفرق بين المؤمن الحقيقي وغيره. هو أن المؤمن إذا سقط يقوم، أما غيره فيسقط ولا يقوم.

يظن المفسرون القدماء أن داود، كتب هذا المزمور. وأعطاه لبني قورح ليتلوه مصحوباً بالآلات الموسيقية. وبنو قورح هم الذين كانوا معينين حراساً لبوابة الهيكل (أخبار الأيام الأول ٢٦: ٩-١) وكانوا يؤلفون جوقة ترنيم في الهيكل.

الترنيمه

ويعبر هذا المزمور عن حالة الشعب في السبي، واشتياقهم إلى الرجوع إلى أوطانهم، وخصوصاً إلى بيت المقدس، الذي دعي بيت الله.

(١) الإيل حيوان بري، له قرون متشعبة. وهو شره يلتهم كميات كبيرة من الأعشاب. الأمر الذي يجعله في عطش مستمر، فيجري إلى جداول المياه، يلتمس إرواء غليله الصادي، وتمتلا بهذا الحيوان الظامئ، قال المرنم: عطشت نفسي إلى الإله الحي. هكذا كانت حال المسيبين، التهبت قلوبهم حينئذ إلى بيت الله. حيث فرض عليهم أن يقدموا ذبائحهم للرب. وفوق هذا فقد سئمت نفوسهم حياة الاستعباد في بابل.

قَدْ كُنْتُ فِي لَيْحِ الْأَثَامِ
وَيَعْشَى سُبُلِي الظَّلَامِ
لَكِنْ رَأَيْتُ يَسُوعَ
جَاءَ لِقَلْبِي وَمَحَا ذَنْبِي
قَدْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا أَسِيرٌ
وَكُنْتُ أَجْهَلُ المَصِيرِ
لَكِنْ رَأَيْتُ يَسُوعَ
جَاءَ لِقَلْبِي وَمَحَا ذَنْبِي
لِذَلِكَ أَشْكُرُ الإِلَهَ
إِذْ أَنْارَ لِي الحَيَاةَ
فَأَشْدُو لِاسْمِ يَسُوعَ
قَدْ صَارَ رَبِّي يَسِيرٌ قُرْبِي

الصلاة:

هذه أيضاً حال المؤمن، فإنه حين يجاهد ضد الخطية يشاقق بشدة إلى الرب يسوع، ينبوع الحياة. قال يوحنا فم الذهب «كما أن الخطية تبرّد حرارة النفس، هكذا الكفاح لإماتة الخطية، يطهر النفس ويضرمها بنار الحب الإلهي، ويجعلها في عطش شديد إلى الرب يسوع» الذي قال «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارٌ مَاءٍ حَيٍّ» (الإنجيل بحسب يوحنا ٧: ٣٧ و٣٨).

يا سامعاً للصلاة، إليك أرفع قلبي، معترفاً بذنوبي الكثيرة. أما أنت يا رب ففي قلبك الحب العظيم، وفي يدك المغفرة. اغفر لي ذنوبي يا كريم، ارحم ذلي يا رحيم. ارفع عني خطاياي يا عظيم. أنا متكل عليك، وفي نفسي شوق إلى الرجوع إليك. فأقبلني اللهم، كما قبل الأب ابنه الضال، العائد من الكورة البعيدة. استجب لطلبتي منعماً لأجل اسم المسيح، فادي الخطاة. آمين.

السؤال:

١٨ - ماذا تتعلم من تأملات هذا اليوم؟

حين أطلق يسوع هذه الدعوة، كان قلبه منشغلاً بالنفوس العطشى إلى بر الله. كانت رغبته شديدة أن يتلفت الجمهور ويقبلوا إليه. وكلمة «عطش أحد» تعني كل إنسان مهما كانت حالته، أو وضعه، أو مركزه. سواء كان رفيعاً أم وضيعاً، غنياً أم فقيراً، صغيراً أو كبيراً، عبداً أو حراً. إنها دعوة موجهة إليك أيضاً، فإن قبلتها نلت المجازاة، وفقاً لقوله: طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون.

الْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ - الاشتياق إلى الله

(٢) قيل عن الأيائل أنها تذهب مسافات طويلة سعياً للإرتواء. أما أنت ففي وضع أفضل، لأن لقاء يسوع لا يقتضيك الذهاب إلى أي مكان فهو قريب منك جداً. إنه

اَكَمَا يَشْتَاقُ الإِيلُ إِلَى جَدَاوِلِ المِيَاهِ هَكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا إِلَهَ. ٢ عَطِشْتُ نَفْسِي إِلَى إِلَهِي إِلَى الإِلَهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قَدَامَ إِلَهِي! ٣ صَارَتْ لِي دُمُوعِي حُبْرًا نَهَارًا وَلَيْلًا إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَيْنَ إِلَهكَ ٤ هَذِهِ أَذْكَرُهَا فَاسْكُبْ نَفْسِي عَلَيَّ. لِأَنِّي كُنْتُ أَمْرٌ مَعَ الجَمَاعِ، أَتَدْرَجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ إِلَهٍ بِصَوْتِ تَرْنَمٍ وَحَمْدٍ، جُمُورٌ مُعَيَّدٌ. هَلِمَاذَا

الأكبر، حين يأتي يوم الابتهاج. اليوم الذي فيه سنضم إلى جماعة المفديين، لينشدوا معاً ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الحروف، قائلين: «عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ الْقَدِيسِينَ. مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيَمَجِّدُ اسْمَكَ، لَأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُوسٌ» (رؤيا ١٥: ٣ و ٤).

(٥) من أجل هذا، يا نفسي ترجي الله، إن لم تجدي ما يروي عطشك في هذا العالم. ترجي الله في حياة أفضل. لأن الرجاء المنظور ليس رجاء. لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر (رومية ٨: ٢٤ و ٢٥) «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخْلِصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضِعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ» (فيلبي ٣: ٢٠ و ٢١).

لا ريب في أن النفس المؤمنة المشتاقة إلى جداول المياه الحية، حيث يتركى رجاؤها، رغم ضيقات هذا العالم، لا بد أن ترفع صوتها بالشكر والحمد للإله الحي، الذي افتداها، وأعطاهها السلام هنا، والحياة الأبدية يوم انطلاقها من ديار اغترابها.

الترنيمة

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| مَعَ رَبِّنَا الْفَادِي | نَكُونُ كُلَّ حِينٍ |
| وَعُدُّ بِهِ يَحْيَا هُنَا | رَجَاؤَنَا الْتَمِينُ |
| بِعَيْنِ إِيْمَانِي | يَا مُنْتَبِي أَرَاكَ |
| لَكِنَّ عَيْنِي تَسْتَهِي | أَنْ تَجْتَلِي سَنَاكَ |
| كُنْ عَن يَمِينِي يَا | رَبِّ أَلْوَرِي، أَلْسِنِينَ |
| وَكُنْ مُعِيناً لِي وَكُنْ | لِي مَلْجَأً حَصِينُ |
| وَحِينَمَا نَفْسِي | تَفَارِقُ الْجَسَدُ |
| تَمْضِي إِلَى جِهَاكَ كَيِّ | تَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ |
| هُنَاكَ أَدْرِي مَا | لَسْتُ هُنَا أَدْرِي |
| وَوَجْهَ فَادِيِّ أَلْسِنِي | أَرَى مَدَى أَلْدَهْرِ |

الصلاة:

أها الرب الإله الحي. نعظم اسمك الكريم، لأجل عنايتك بالبشر، ورحمتك بضعفاتهم. ونشكرك لأجل الشوق الذي يشيعه روحك القدوس في نفوس البشر، لكي يطلبوك، ويجدوا عندك ما يشبع أشواقهم. ضع هذا الشوق في قلبي باستمرار، لأنني عندك فقط أجد الطمأنينة وهُدوء

يطرق باب قلبك ويقول «إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ أَلْبَابَهُ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا ٣: ٢٠).

والعطش عملية مستمرة فالمؤمن، في كل أيام سياحته على الأرض هو في حالة عطش مستمر إلى المسيح، وعنده اشتياق للتعبد له في كل حين، فهو لا يتساءل مثل المرنم: متى تتاح لي الفرصة. لأتراءى قدام الله الحي؟ لأن الفرصة للقاء الرب الحي متاحة في كل لحظة، لأنه هو معنا كما قال، كل الأيام إلى انقضاء الدهر.

(٣) يرى أغسطينوس أن دموع داود كانت حلوة، وليست مرة. لأن النبي المرنم كان يستسيغها كما يستسيغ الجائع الحبز. وهذه الدموع لم تكن دموع الحزن والاكئاب، بل دموع الشوق إلى الوجود الدائم مع الله. والواقع أن هدف المؤمن المولود من الله، هو الوجود مع الله. وأن وسيلته الحلوة، هي الصلاة ودموع الشوق.

صحيح أن الله، لا يرى بالعين الجسدية، ولكنه يرى بالقلب النقي. هكذا قال المسيح: «طُوبَى لِلْأَنْبِيَاءِ أَلْقَابِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ» (الإنجيل بحسب متى ٥: ٨) نعم إن المؤمن، يقدر أن يرى الله. لأن نفسه ليست رهينة لإحساساته المادية. المسيح حررها من كل قيد مادي، لتصعد إلى جبل الشركة مع الله. ويقيناً أن النفس إن لم تنسكب قدام الله، تتوقع في إطار الأنانية. وعندها لا تستطيع أن ترى الله. ومن أجل ذلك يقول غير المؤمنين أين إلهك؟ أما المؤمن الحقيقي فلسان حاله يقول: حررني الفادي الحبيب من قيود المادة. لذلك فأنا أسكب نفسي أمام إلهي.

(٤) كان مرور المرنم مع الجماع إلى بيت الله، هو الرد على سؤاهاهم الشامت أين إلهك؟ إن بيت الرب في العهد الجديد ليس البناء المشيد بالحجارة، بل هو جماعة المؤمنين، الذين قال الرسول: «أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ، وَرُوحُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (كورنثوس الأولى ٣: ١٦) هذه الحقيقة صارت بالفداء، بدم المسيح، لذلك وجب على المؤمنين أن يقتني كل واحد إناءه بقداسة وكرامة. وفقاً للوصية الرسولية القائلة: «لَا تَمْلِكَنَّ أَلْخَطِيئَةَ فِي جَسَدِكُمْ أَلْمَائِتِ لِكَي تَطْبِعُوهَا فِي شَهْوَاتِهِ وَلَا تَقْدَمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلَاتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيئَةِ، بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ لِلَّهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلَاتِ بَرِّ اللَّهِ» (رومية ٦: ١٢ و ١٣).

وكان المرنم يذهب إلى بيت الرب، بترنم وحمد جمهور معيد. فحياة المؤمن عيد، أفراده لا تنتهي، بانتظار الفرح

النفس. زكي الرجاء في قلبي، حتى أحياء حياة الانتظار واليقظة مع جميع إخوتي في الرب. آمين.

السؤال:

١٩ - ماذا تعرف عن حيوان الإيل؟

الْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ - تتمة

٦ يَا إِلَهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذَلِكَ أَذْكُرُكَ مِنْ أَرْضِ الْأُرْدُنِّ وَجِبَالِ حَزْمُونَ، مِنْ جَبَلِ مِصْرَ. ٧ عَمْرُ يُنَادِي عَمْرًا عِنْدَ صَوْتِ مِيَازِيْبِكَ. كُلُّ تِيَارَاتِكَ وَجُجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ. ٨ بِاللَّيْلِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ، وَبِاللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلَاةٌ لِإِلَهِ حَيَاتِي. ٩ أَقُولُ لِلَّهِ صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسَبْتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِينًا مِنْ مِصْرَ إِلَى الْعَدُوِّ؟» ١٠ اِبْسَحِقْ فِي عِظَامِي عَيْرِي مِصْرِي، بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلَهُكَ؟» ١١ لِمَاذَا أَنْتَ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي، وَلِمَاذَا تَتَنَبَّأِينَ فِيَّ؟ تَرَجِّجِي اللَّهُ لِأَنِّي بَعْدَ أَحْمَدُهُ، خَلَّاصَ وَجْهِي وَإِلَهِي.

(١) كان داود من الأنبياء الحالمين، وكانت رؤاه بعيدة المدى. فاخترقت الأحقاب والأزمنة، وراحت ترتاد بعض الأمكنة التي ارتادها رب المجد في ما بعد. وطاب له أن يذكر ربه وفاديه:

١. من أرض الأردن، حيث أظهر رب المجد يسوع اتضاعه، بممارسة المعمودية على يد يوحنا المعمدان. لأنه وهو القدوس الحق، الذي لم يعرف خطية، وضع ذاته تحت الشريعة. ولكن يوحنا إذ كان يعرف أنه في حضرة ربه وفاديه، استعظم الأمر وحاول منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتد منك، وأنت تأتي إليّ!!! وكأني به يقول: يا سيد أنا خاطئ أحتاج إلى غفران منك، يا حمل الله رافع خطية العالم. ولكن واعجابه أنت تأتي إليّ؟! أيأتي الذهب إلى الطين ليكسب بهاء؟! أم تأتي الشمس المنيرة إلى الفتيلة المدخنة، لتقتبس منها نوراً؟! أم يأتي السيد إلى العبد، لينال منه شرفاً؟! أم يأتي البار إلى الأثيم، ليعطى براً؟!!

ولكن يسوع في اتضاعه، قال ليوحنا: اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. بمعنى أن الفادي الرب بين له أنه يجب أن يسلم بطلبه، ولو كان ذلك غريباً وفوق إدراكه.

كانت المعمودية بالنسبة لأهل العهد القديم تنطوي على معنيين: الأول، ترك الخطايا. والثاني انضمام المعتمد

إلى رعوية ملكوت الله، أما المعمودية المسيح، فتحمل معها معنى جديداً، هو رضاه بأن مجسب نفسه واحداً منا. وفي تعبير آخر أنه صار ابن الإنسان، ليكون أماً لكل فرد في الإنسانية. فمعمودية المسيح إذن كانت أحد أعماله الكفارية، التي قام بها مختاراً لأجلنا، نحن الخطاة الأثمة. لأنه إذ جاء ليفتدينا، جعل نفسه واحداً منا، مجرباً في كل شيء مثلنا ما عدا الخطية. وبلغ الذروة في اتضاعه حين حمل خطايانا، أو كما قال الرسول «صار خطية لأجلنا، لكي نصير نحن بر الله فيه».

٢. من جبل حرمون، حيث تجلى الرب للتلاميذ بمجده الإلهي، حين أضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور. في قيصرية فيلبس حدث الرب تلاميذه عن صليبه وصليب المؤمنين في كل جبل. وأطلق الشاعر القائل «إن أراد أحد أن يأتي ورأيي، فلينكسر نفسه ويحمل صليبه كل يوم، ويتبعني» (الإنجيل بحسب لوقا ٩: ٢٣) حينئذ خيمت على عقول التلاميذ سحابة سوداء من الحزن. فأشفق المسيح عليهم، وافتقدهم في كابتهم، فأخذ نخبة منهم إلى جبل حرمون وأظهر لهم عظمتهم. هناك رآوه في مجده محاطاً بموسى وإيليا، وسمعوا صوت الأب قائلاً «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا».

جاء ذلك الافتقاد في أوانه كطلوع البدر في كبد السماء على إنسان تائه في الصحراء. وهكذا رأى التلاميذ من هذا التجلي أنوار المجد منعكسة على الصليب، من قبل، وأنوار القيامة والصعود تفيض عليه من بعد.

(٧) يرى كيرلس أن الغمر الذي ذكره داود، يرمز إلى الماء والدم المتفجر من جنب ربنا المبارك يسوع على الصليب، الذي غمر خطايانا فغسلها. وأن اللجج هي أحكام الرب. ولعله قصد أحكام الرب بتبريرنا لأجل الدم الذي سفك من أجلنا.

(٨) الليل يرمز إلى التجارب والضيق، التي نمر بها، وتحملنا على الصلاة لأجل حياتنا فيأتي النهار المملوء بالرحمة. ويرى أوريجانوس، أن الليل هو هذا العمر الحاضر المظلم، بينما النهار هو العمر العتيد المضي للصديقين. ويلزمنا أن نصلي ونسبح ما دمنا في هذا الليل، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح المنير، الرب يسوع المسيح.

الْمَزْمُورُ الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُونَ - أفض لي يا رب

أفض لي يا الله وخاصم خصمتي مع أمة غير راحمة،
ومن إنسان غش وظلم نجني. ٢ لأنك أنت إله حصني.
لماذا رفضتني؟ لماذا أتمشى حزينا من مضايقة العدو؟
٣ أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل
قدسك وإلى مساكنك. ءفاتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة
فرحي، وأحمدك بالعود يا الله إلهي. ٥ لماذا أنت منحنية يا
نفسي، ولماذا تننبن في؟ ترجي الله لأني بعد أحمده،
خلاص وجهي وإلهي.

حين نتأمل في هذا المزمور، نرى أن لا عنوان له. وهذا
حمل عدداً من المفسرين على القول بأنه تكلمة للمزمور
الثاني والأربعين.

(١) يستهل كاتب المزمور بالطلب إلى الرب أن يحكم له
وينتقم لظلامته من أمة غير بارة، ومن إنسان غش. ولعل
الكاتب كان متحدثاً بلسان أحد المسبيين فطلب من الله
معاينة البابليين، وعلى رأسهم ملك بابل. والواقع أن طلب
النقمة كان شائعاً في صلوات الكثيرين من قديسي العهد
القديم. ولعل مرد ذلك إلى نصوص الناموس الموسوي الذي
يجيز النقمة بدليل احتوائه على الشريعة القائلة: عين بعين
وسن بسن (خروج ٢٤: ٢٤).

لقد عاش البشر عشرات القرون في ظل هذه الشريعة،
إلى أن سطع ناموس روح الحياة في المسيح يسوع. الناموس
الذي أساسه المحبة التي لا تنتقم من المسيء، بل تغفر له
سبعين مرة سيع مرات، كل يوم. وقد عرف بالاختبار أن
من قبل يسوع مخلصاً وقبل نيره يرفعه المسيح فوق مستوى
خصمه، فيبادلها حباً ببغضاء وغفراناً بانتقام. وقد عملت
المسيحية بهذا المبدأ تمشياً مع تعليم الإنجيل القائل: «لا
تنتقموا لأنفسكم... بل كل ما تريدون أن يفعل الناس
بكم، افعلوا أنتم أيضاً بهم». وهدف المسيح من هذا التعليم،
هو أن يخلق من كل كائن بشري يؤمن به «إنساناً» جديداً
صانعاً سلاماً، متأهباً لكل عمل صالح.

قد يرى البعض أن المسيحية تطلب من معتقيها أموراً
مستحيلة في ممارسة المساحة. وقد يكون الأمر هكذا بالنسبة
للإنسان الطبيعي، الذي لم يعرف المسيح في فدائه، أو
بالحري لم يحل المسيح بالإيمان في قلبه. إنسان كهذا، لا

(٩-١١) يرجح بعض المفسرين أن المرتم الملهم، شعر وهو
ينتظر بالوحشة والانفراد، لكان الله قد تركه، وابتعد عنه،
فراح يتساءل لماذا يسمح إلهه أن يضايقه أعداؤه، بقولهم له
كل يوم: أين إلهك؟ وفي نهاية المزمور يعود مرة أخرى إلى
توجيه الحديث إلى نفسه المنحنية، التي ضايقتها أهل العالم
بتعيراتهم. ويسألها، أن تترجى الله وتحمده. وان ترى أن
خلاصها هو في وجه الرب. وهيب بها أن تتق في أن الرب
هو صخرتها، التي مكنها أن تلجأ إليه فيثبتها.

يا ليت كل نفس تتمثل بالنبي الكريم فتترجى الله. لأن
رجاء الله لا يخزي، ولا تعقبه خيبة ولا يأس، بل يتكلم
بخلاص الله. أجل إن الرجاء لا يمكن أن يخيب، لأنه قائم
على محبة الله ومختوم بالروح القدس، ليوم الفداء العظيم.

الترنيمه

كشوق الغزال لمجرى المياه إليك إلهي أشتيافي عظيم
عطشت إلى أحي رب الحياة وقلبي ليبت العلي بهميم
قار
لماذا الأين
دموعي تسيل بطول الزمان
لأن العدو لتفسي أهان
ونفسي تنن بحزن عظيم
بأهلي وصحبي وخلي الكريم
أيا نفس قومي لماذا الأين
لأني لأجل الخلاص الثمين
أيا نفس ربك رب معين
وصارت طعامي ليل نهار
بقوله أين إلهك سار
لذكرى مسيري ليبت الإله
نغني بحمد لرب الحياة
ترجي إلهك منه اللجاء
أسبح رب بطول الحياة

الصلاة:

شكراً يا إلهنا القدوس، من أجل لطفك الذي ظهر في
المحبوب يسوع. ومن أجل عنايتك التي تحوطنا بها، حين
تعج علينا بالبلايا، غمراً ينادي غمراً. ونشكرك بنوع خاص
من أجل محبتك في يسوع، الذي أكمل كل بر. وأتاح
لخاطئ نظيري القدوم إليك بالتوبة عن الخطايا. ثبتني في
تويتي، زد إيماني، شدد رجائي، قو محبتي، يا إلهي الصالح.
باسم يسوع استمع لي واستجب. آمين.

السؤال:

٢٠ - بماذا امتاز داود كنبني؟

ويهديك إلى سبل البر من أجل اسمه. وهو الحق الذي يحررك من عبودية الشر، فتسلك كابن، وتصنع الحق.

نعم، إن سيدنا يبدد الحزن من نفوسنا، ويخلصنا من تجارب الأمة غير الراحمة، ومن إنسان العشر. وتأكد أن لا خلاص بدون يسوع.

(٤) أيها المشتاق الساعي إلى جبل قدس الله، سر وراء الفادي الرب. فهو يقودك إلى مقدس الله. والله في هذه المساكن. يملأ نفسك بهجة وفرحاً. فتحمده بالعود والقيثار. والله كأب حكيم يعرف جيداً ما يحتاجه أبناؤه، في كل مرحلة من حياتهم. ولذلك لا داعي أن تكتئب نفسك، أو يضطرب قلبك في داخلك.

(٥) ما أجمل الفرح، الذي يُعبر عنه بالترنيم! سبح الرب شاكراً على خلاصه ومحبه، «طوبى للساكين في بيتك أبداً يسبحونك». وبقينا أن التسبيح والحمد، هو أنغام الحب الصادرة من قلب طاهر. وأن ذلك يتم بطاعة وصايا الرب: «الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَحَفَظَهَا فَهُوَ الَّذِي يُجِيبُنِي، وَالَّذِي يُجِيبُنِي يُجِيبُهُ أَبِي، وَأَنَا أُجِيبُهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٤: ٢١).

وأنت يا نفسي، لماذا أنت منحنية، ولماذا تتنين في، بعد أن عرفت طريق فرحك وسلامك. ارجي الله، وتوكل على نعمته، فهو يرسل نوره وحقه، فيهديناك إلى مسكنه، حيث مذبح الرب، الذي هو نور وخلص لكل متقيه.

الترنيمه

يَا رَبُّ كُنْ لِي مُرْشِدًا
وَأَنْظُرْ لِضَعْفِي مُنْجِدًا
إِنِّي أَتَيْتُ خَاضِعًا
فَأَنْصُتْ لِصَوْتِي سَامِعًا
نَفْسِي إِلَيْكَ تَائِقَةً
وَبِرَجَاكَ وَاثِقَةً
يَا رَبُّ قَلِّ نَاصِرِي
وَعَظَّمْتَ كِبَائِرِي
يَا حِصْنَنَا فِي خَوْفِنَا
أَنْتَ مَقْوِي ضَعْفَنَا
يَا مَصْدَرَ الْأَنْوَارِ
يَا ذَا الْغِنَى الْجَبَّارِ
أَمَامَ رَحْمَتِكَ
مِنْ عَرْشِ نِعْمَتِكَ
فِيهَا أَمَانِيهَا
فَأَمُحْ مَسَاوِيهَا
كُنْ أَنْتَ لِي نَاصِرٌ
كُنْ أَنْتَ لِي غَافِرٌ
وَمُلْتَمَتِي الْخُطْبِ
فِي الْمَوْقِفِ الصَّغْبِ

يستطيع إطلاقاً التخلص من شهوة الانتقام. أما الذي قبل المسيح وتجدد بالروح القدس، فله طبيعة المسيح. وبطبيعة المسيح، يغلب شهوة الانتقام. وبالصفح عن الإساءة، يسحق كبرياء الخصم.

تجدد شباب بواسطة جيش الخلاص، وكان قبلاً مشهوراً بالبطش وشدة الانغماس في الشر. ولكنه ما أن نما روحياً في معرفة المسيح، حتى أخذ يتصل برفاقه القدامى ويكرز لهم بخلاص الله، الذي ذاق حلاوته. وصادف أنه في إحدى المرات، قام زميل سابق له ولطمه بشدة، قائلاً: هذه مني جزاء لمعرفتك الجديدة بالمسيح. فتلقى الشاب اللطمة بكل هدوء، ثم التفت إلى المعتدي وقال: قبلت لطمتك راضياً إكراماً للمسيح، الذي احتمل من الأشجار مقاومة كهذه. قالها، ثم حيا وانصرف. ولكن لم يمض يومان على الحادث، حتى ذهب المعتدي إلى ضحيته وقال له بانكسار: جئت لألتمس الصفح على تصرفي المشين، ولي خزي الوجه. وأعترف لك بأن كلمتك اللطيفة، اخترقت قلبي كسهم، وقتلت فيه العداوة. وبالحق أقول أنه عندما قبلت لطمتي برضى، خيل لي أنني أرى يسوع يتقبل اللطمة ميتسماً. فخجلت من فعلتي ولم يسعني إلا أن أقع على قدمي هذا الإله الذي جعل منك إنساناً محبباً مسلماً.

(٢ و ٣) يتلملم الكاتب في ديار الاغتراب، ويشعر بالحنين إلى بيت المقدس. وحين خاب أمله بالعودة تألم، وراح يسأل الله بلهجة المكتئب: لماذا أقصبتني عنك؟ ولماذا سمحت بأن أسلك حزينا من مضايقة أعدائي؟...

قال العلامة أوريجانس إن في هذا المزمور نبوة عن آلام المسيح، فالأمة غير الراحمة هي شعب اليهود، وإنسان العشر يهوذا الإسخريوطي. والقول «لماذا أتمشى حزينا» يشير إلى كلمة المسيح في الليلة التي أسلم فيها «نفسى حزينة جداً حتى الموت».

لا تحزن يا أخي فعدو النفوس إبليس، أضعف من أن ينال من مؤمن بيسوع. فقد قال له المجد: إن رئيس هذا العالم يأتي ولكن ليس له في شيء. فالعدو الغاشم لا يستطيع أن يضايقنا إلا إذا كان له فينا شيء، كالغيظ مثلاً. فقد قال الرسول: «لا تَغْرَبِ الشَّمْسُ عَلَى عَيْظِكُمْ وَلَا تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا» (أفسس ٤: ٢٦ و ٢٧). هل تريد الخلاص من هذا الحزن؟ اسأل يسوع أن يرسل إلى قلبك نوره وحقه. لأن يسوع هو نور العالم، الذي ينير سبيلك

الصلاة:

إذا أردت أن تسمع صدى الأنين من ثقل الخطية في قسوته ومرارته، فاقرب من صليب ربنا يسوع المسيح. هناك تسمع الذي حمل خطايانا في جسده على الصليب يئن، قائلاً «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟!».

يا ليت المستهين بالخطية يلتفت إلى صليب يسوع، ليرى فظاعة الخطية في كونها سببت موتاً مهيناً للقدوس الحق. ومن يدري، إن كان المستهين لا يخجل مما فعل، ويصرخ مع العشار قائلاً: ارحمني اللهم أنا الخاطي؟

لك الحمد والشكر يا رب الجنود ملكنا وإلهنا، لأجل النعمة، التي صارت بالمسيح يسوع. هذه النعمة المخلصة، التي تعلم الناس أن ينكروا الفجور الذي في العالم. ونشكرك لأنك تعاملنا بالنعمة المترفة. نسألك أن تسكب محبتك في قلوبنا بالروح القدس لكي نبذ الكراهية والحقد والرغبة في الانتقام، ونتجمل بالوداعة وحب الغفران. ثبتنا في الحرية، التي اشتراها المسيح لنا بدمه، لكي لا نستعبد بعد للخطية، ولك الشكر. آمين.

السؤال:

٢١ - ما هي ميزات المسيحية بالنسبة للنقمة؟

الْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ - الله ملجأ وقوة

لعلك تندهش أن يأتي ديان كل الأرض ويأخذ حكم الدينونة نيابة عن كل خاطئ أثيم! ولكن قبل أن تندهش، اطلب إلى هذا الفادي أن يجلب بالإيمان في قلبك. وعندئذ تدرك أبعاد محبته الفائقة العقل، التي أحبك بها والتي رفعتها على الصليب. ليفتديك من لعنة الناموس، الذي أغلق عليك تحت الخطية. وهو ينتظر منك خطوة واحدة، لكي يبرك ويعطيك ميراثاً مع المقدسين. ينتظر أن تقبل إليه، وتقبله مخلصاً.

١ اللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْنَا فِي الضِّيقَاتِ وَجَدَ شَدِيدًا. ٢لِذَلِكَ لَا نَخْشَى وَلَوْ تَزَحَّزَحَتِ الْأَرْضُ، وَلَوْ أُنْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ. ٣تَعَجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعَّرُ الْجِبَالُ بِطُمُوهَا. سِلاَةٌ.

(٢ و ٣) لقد أطلقت على الله صفات وأسماء كثيرة ولكن أقربها إلينا هي «الله محبة» وبالمحبة صار عمانوئيل الله معنا. لذلك لا نخشى مهما حدث من الدواهي، ولو تزعزعت الأرض.

٤نَهَرٌ سَوَاقِيهِ تُفْرِحُ مَدِينَةُ اللَّهِ، مَقْدِسَ مَسَاكِنِ الْعَلِيِّ. ٥اللهُ فِي وَسْطِهَا فَلَنْ تَتَزَعَّرَ. يُعِينُهَا اللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ. ٦عَجَّتِ الْأُمَمُ. تَزَعَّرَتِ الْمَمَالِكُ. أُعْطِيَ صَوْتَهُ ذَابَتِ الْأَرْضُ. ٧رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلَهُ يَعْقُوبَ. سِلاَةٌ.

يخبرنا متى الإنجيلي أنه فيما كان يسوع نائماً في السفينة وتلاميذه يجدفون حدث اضطراب عظيم في البحر، حتى غطت الأمواج السفينة فأيقظه تلاميذه بصراخ الخوف قائلين «يا سيد نجنا فإننا نهلك...» ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم. «ولسعادتنا فإن هذا الذي انتهت الرياح والأمواج، هو نفسه الذي قال «ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر». وهو نفسه الذي قال: «لا تخافوا أنا هو». لذلك لا نخشى زعزعة الأرض، لأن إلهنا وفادينا ماكت فينا.

(١) يستهل المرنم هذا المزمور بتأكيد، أن الرب هو الملجأ والملاذ. ومما يشيع الاطمئنان في النفس، هو أن يكون الرب ملجأ لنا. لقد اختبر القديسون في كل جيل، أنه بمجرد ذكر اسم يسوع، تتقوى النفس وتنتصر على الشدائد.

إنه لا يلاشي التجارب، ولكنه يوجد معنا حين نمر بها، كما حدث مع الفتیان الثلاثة. فهو لم يطفئ نار الأتون، ولكنه أعطاهم بركة وجوده. فلم تلتهمهم النار، بل زادتهم إيماناً وقوة وثباتاً.

إن الضيقات التي تقع على الإنسان شديدة، ولكن أشدها مرارة للنفس، هي الخطية، التي تجرح الضمير. من أجل هذا، يجب أن نلجأ إلى يسوع المصلوب فادي الخطاة وغافر إثمهم. إنه بحق ملجأ لنا وقوة ومعين في كل الشدائد التي نتناهبها. حين يتورط الإنسان بدين باهظ، يكون الضيق الذي يجلب به شديداً وقاسياً. ولكن كل الديون يتضاءل ثقلها أمام دين الخطية، الذي وصفه يوحنا بنيان في كتاب سياحة المسيحي بالحمل الثقيل.

قال رجل الله متى هنري: إن الطريقة لإزالة مخاوفنا، هي أن نأتي بها إلى المسيح، ونضعها أمامه. والذين يدعون

مختارو الله يثبتون لأن قائدهم، ليس نبياً ولا ملاكاً ولا رئيس ملائكة، بل هو رب الجنود نفسه.

المسيح معلماً بإخلاص، ويلجأون إليه بإيمان، يحق لهم أن يتأكدوا بأنه لن يجعلهم يهلكون.

الترنيمَة

يَا ثَقِيلَ الْحِمْلِ أَقْبِلْ
وَأَطْرَحِ الْأَوْزَارَ حَالًا
فَتَرَى يَنْبُوعَ جُودٍ
مَنْ أَمَاتَ الْمَوْتَ بِالْمَوْتِ
اسْمَعِ الْفَادِي يُنَادِي
التَّفْتِ نَحْوِي فَتَحِيَا
أَقْبِلُوا نَحْوِي فَإِنِّي
إِنِّي الْخَبْرُ السَّمَاوِي
احْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ
لَا تَخَافُوا مِنْ عَدُوِّ
نَحْوِ فَادِيكَ الْحَبِيبِ
عِنْدَ ذِيكَ الصَّلِيبِ
سَالَ مِنْ جَنْبِ الْحِمْلِ
الَّذِي عَنَّا أَحْتَمِلُ
كُلَّ مَقْطُوعِ الرَّجَا
وَتَنَالَ الْفَرْجَا
جَنْتُ مِنْ أَجْلِ الْخَطَاةِ
وَأَنَا مَاءَ الْحَيَاةِ
إِنِّي الرَّاعِي الْوَدِيعِ
فَأَنَا الْحِصْنُ الْمُنِيعِ

وفي يقيني أنه ليست هناك راحة للنفس المسكينة، التي ترزح تحت عبء الشعور بالخطية والخوف، أفضل من أن تذهب إلى يسوع الفادي، مريح التعابى وتقول له: يا رب نجني فإنني أهلك.

صحيح أن عواصف الشر عاتية جداً وأن مهمة الشيطان وجنوده أن يثيرها بلا هوادة. ولكن شكراً لله لأن مهمة يسوع أن يسكنها. وله التسلط عليها، وهو ينتهرها بكلمة من فمه المبارك. وما تلك المعجزة التي حدثت إلا رمزاً إلى فعل المسيح، الذي يفعله في كل زمان، وهو إعطاء الراحة للنفس المؤمنة مهما اشتدت اضطرابات الحياة حولها.

(٤) العالم شبيهه ببحر مضطربة أمواجه، وهي تثير القلق والمخاوف في النفوس. ولكن جماعات المفديين نهر، سواقيه تفرح مدينة الله. لأنه بينما العالم يعاني الاضطرابات والثورات الدامية، يعيش قطيع المسيح في فرح وسلام. إن أنهار الله الحية الفياضة، هي مياه الروح القدس، التي تندفق في حياة المؤمنين المولودين من الله. هكذا قال يسوع «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَتَّيَّبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارٌ مَاءٍ حَيٍّ قَالَ هَذَا عَنْ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ» (الإنجيل بحسب يوحنا ٧: ٣٧-٣٩). وقد فاقت أنهار الروح القدس فعلاً يوم الخمسين.

الصلاة:

مبارك أنت يا رب. وعظيمة هي أعمالك. كل شيء بحكمة صنعت. نشكرك يا إلهنا القدوس لأجل وجودك معنا، وسط اضطرابات الحياة، لم تهملنا ولم تمنع حقلك عنا. ونقدس اسمك الكريم، لأنك تثبتنا في الإيمان والرجاء والمحبة، فلا نتزعزع. ومهما كانت الأمور صعبة والضيقات شديدة، فإننا نجد عندك الفرج، ونجد عندك التعزية. كمل عملك في حياتنا كل يوم، إلى يوم مجيئك. آمين.

السؤال:

٢٢ - ما هي أشد الضيقات التي تقع على الإنسان، وكيف يستطيع الإنسان أن يتخلص منها؟

الْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ - تَتْمَة

٨ هَلُمَّوا أَنْظُرُوا أَعْمَالَ اللَّهِ، كَيْفَ جَعَلَ خِرَابًا فِي الْأَرْضِ.
٩ مُسْكِنُ الْخُرُوبِ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ. يَكْسِرُ الْقَوْسَ وَيَقْطَعُ
الرَّمْحَ. الْمُرْكَبَاتُ مَجْرُقُهَا بِالنَّارِ. ١٠ اكْفُوا وَأَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا
اللَّهُ. أَعَالَى بَيْنَ الْأُمَمِ. أَعَالَى فِي الْأَرْضِ. ١١ رَبُّ الْجُنُودِ
مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلَهُ يَفْقُوبُ. سِلَاةٌ.

(٥) لقد فدى العلي قطيعه، وبررهم بدمه، وقدسهم بروحه القدوس الماكث فيهم، وثبتهم في محبته. لذلك لا يمكن، أن يتزعزعا. إن سر قوة الكنيسة في وجود الله في وسطها، في قلوب أعضائها. وقد وزع المواهب الروحية على الجميع، وينصح الكل، وعينه على الكل. وحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه، فهناك يكون في الوسط.

(٦ و٧) إن الأمم التي لم تعرف الله في فدائه، تعج وتسخب. ولكنها لا تستطيع أن تثبت طويلاً، ولا أن تقاوم ما سمح الله بوقوعه على العالم. أما كنيسة الله، التي افتدائها بدمه، فتقابل هذه الأحداث بدون قلق. لأن الله يقوِّمها، ويسندها ويعطيها المحبة التي تصبر على كل شيء وترجو كل شيء. وتحتمل كل شيء.

(٨) إن صوت الرعود القاصفة والسحب التي تتجمع في الفضاء، تنذر بالمطر وبالتالي ينجم عنها بركات واسعة للأرض إذ تروي أطلالها فتنبت الزروع وتعطي خيرات كثيرة. هكذا صوت الرب في كنيسته يرن منها: قد تناهى الليل واقترت النهار، فاخلعوا أعمال الظلمة والبسوا أسلحة

والمركبات، هي أكاذيب الأشرار التي يهتمون خلفها، والله يبددها، مع كل الذين يتسلحون بها.

النور، فإن خلاصكم الآن أقرب مما كان حين آمنتم (رومية ١٣: ١٢).

لا تخف يا أخي من هذه الأسلحة، بل: «تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. أَلْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ لِكَيْ تَقْدُرُوا أَنْ تَتَّبِعُوا ضِدَّ مَكَائِدِ إبليس. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرَّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرَّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَحْمِلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ لِكَيْ تَقْدُرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِّيرِ... أَتَبْنُوا مُمْنِطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلَا بَسِينِ دَرَعِ الْبِرِّ، وَحَادِينَ أَرْجُلَكُمْ بِأَسْتَعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلَامِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تَرْسَ الْإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدُرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشَّرِّيرِ الْمَلْتَهَبَةِ وَخُذُوا خُوذةَ الْخِلَاصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ» (أفسس ٦: ١٠-١٧).

لم يكن الأمر هكذا بالنسبة لليهود، الذين رفضوا خلاص الله في المسيح يسوع، فاستحقوا غضب الله، بعد أن وبخهم وأنذرهم بقضائه عليهم، وقدم لهم مثل الكرم، الذي وفرت له كل أسباب الخصب والنمو. ومع ذلك فإذ انتظر الكرام الإلهي أن يصنع كرمه عنباً جيداً، صنع عنباً ردياً. فقرر أن ينزع سياجه، أي يعدل عن حمايته، فيصير للرعوي، وأن يهدم جدرانها فيصير للدوس. ولا يلبث أن يطلع فيه شوك وحسك. ويوصي الغيم، أن لا يمطر عليه. لأن الشعب أخطأوا إلى إلههم (إشعياء ٥: ١-٧).

لم يترك الله شيئاً من وسائل النعمة، لم يصنعه للبشر. ومن يمعن نظره في تاريخ الفداء، ويتأمل في التجسد، والصلب، وصعود يسوع بالمجد، وانسكاب الروح القدس، والكنيسة وخدمتها، والكتاب المقدس وفوائده، ومحبة الله، وطول أناته، وإحسانه إلى غير المستحقين، لا بد أن يقول: لا يوجد شيء من الخير، لم يصنعه الله للبشر.

(١٠) كفوا عن محبة العالم الشرير، كفوا عن الاتكال على ذواتكم، واتكلوا على ذراع الرب المرتفع، ساكن الأبد، القدوس اسمه، الذي يسره أن يسكن مع المتواضع، أنه سيتعالى في أرضه، بعد أن تتزعزع الجبال وتعرف الأمم طريقه. أي عندما يدخل ملء الأمم.

إن خيرات الله التي يسبغها علينا، والامتيازات التي منحنا إياها، تزيد مسؤوليتنا. لأن أثمار الكرم يجب أن تكون على قدر أتعاب الكرام. وليكن معلوماً لدينا أن الرب يؤدب شعبه، بغية إصلاحهم. ويطلب الذين تركوا الرب في يوم الخيرات، ينتبهون ويرجعون إليه في يوم الضيقات. صحيح أن الرب صالح وإلى الأبد رحمته. ولكنه عين حاداً للذين يرفضون رحمته. وتعبير آخر. إن لم نقصد عمل الخير ونجتهد فيه، نعط الشرير فرصة ليزرع الفساد والخطية في قلوبنا.

(١١) يختم الكاتب المزمور مكرراً العبارة التي تشيع الاطمئنان في النفس «رب الجنود معنا، وهو ملجأنا وملأنا وهو ناصر لنا ومعيننا في الضيقات».

الترنيمه

اللَّهُ مَلْجَأُ لَنَا
عَوْنٌ شَدِيدٌ وَاقِفٌ
لِذَلِكَ لَا نَخْشَى وَلَوْ تَزَلَزَلَتْ
لِلْبَحْرِ مِنْ هَوْلِ الصُّدَامِ
اللَّهُ فِي مَدِينَةِ آلِ
وَلَا تَزَعْرَعَا وَلَا
يُعِينُنَا بَارِي السَّمَا رَبُّ الْبَشَرِ
فِي وَقْتِ إِقْبَالِ السَّحَرِ
اللَّهُ أُعْطِيَ صَوْتَهُ
فَدَابَّتِ الْأَرْضُ وَمَلَأَتْ
رَبُّ الْجُنُودِ الْمُسْتَعَاثُ مَعَنَا
إِهْنَأَ الْحَيُّ الرَّجِيمُ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْظَرُوا
قَدْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَفَاً
وَالْقَوْسَ قَدْ كَسَرَ وَالرَّمْحَ قَدْ قَطَعَ

وَقُوَّةٌ عَلَى الدَّوَامِ
فِي الضَّيْقِ حِصْنٌ وَسَلَامٌ
بِنَا الْجِبَالِ وَالْأَرَاضِي أَنْقَلَبَتْ
قُدُسٌ فَلَا تَلْقَى ضَرَرَ
عَوْنًا شَدِيدًا أَوْ خَطَرَ
إِهْنَأَ الْقُدُوسُ يُعْطِيهَا الظَّفَرَ
مِنْ عَرْشِهِ الْأَسْمَى الْعَظِيمِ
تَثَبَّتْ عَلَى الْأَسِّ الْقَدِيمِ
فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ بَلْ مَلْجَأُنَا
مَاذَا الْقَدِيرُ يَفْعَلُ
رَأَى وَالْحُرُوبَ يُبْطِلُ
وَمَرْكَبَاتِ الْحَرْبِ لِلنَّارِ دَفَعُ

(٩) إن الحروب التي قامت ضد الرب كثيراً ما انتهت بإيمان الأعداء. انظر كيف صار شاول الطرسوسي مسيحياً وكارزاً بالإنجيل، بعد أن اضطهد كنيسة المسيح ونكل بأعضائها القديسين. وتاريخ الكنيسة حافل بسحابة من الشهداء الذين كانوا أعداء صليب المسيح، ولكنهم ما أن عرفوا فيه رب الخلاص حتى سجدوا له. وكثيرون منهم استشهدوا في سبيله.

القسبي هي رمز خطط أعداء الرب وترتيباتهم، التي يبددها الله. والرمح هو سلاح الهجوم وهو من سهام إبليس الملتهبة، التي أعطى الله المؤمنين في إزائها ترس الإيمان.

جرت العادة في أيام الشريعة الموسوية أن يقدموا لله البهائم الطاهرة ذبائح في الهيكل. فسأل بولس المسيحيين، أن يقدموا لله الذبائح كأهل العهد القديم، لكنه أعلن أن ذبائح القدماء كانت مادية، أما ذبائح المسيحيين فروحية. تقدمت القدماء كانت من البهائم. وتقدمت المسيحيين هي أجسادهم، وهي ذبائح اختيارية سارة مفرحة لقلب الله.

ذَاكَ الْقَوِيُّ الْأَزَلُّ
يَقُولُ كَفُورًا وَأَعْلَمُوا
مُرْتَفِعٌ بَيْنَ أُمَّلَا
رَبُّ الْجُنُودِ الْحَقُّ بَارِينَا لَنَا
إِلَهْنَا أَلْرَبُّ الْمَجِيرُ

الصلاة:

حمدًا وشكرًا، نرفع لك يا رب إله خلاصنا. أنت قوتنا وملاذنا في الضيقات. ونشكرك بنوع خاص لأجل حمايتك لنا من شرور هذا العالم، وإذا سمحت محبتك أن نتأذب، فأنت لا تسلمنا إلى الموت. أنت أحببتنا قبل تأسيس العالم، وأعددت كل شيء لخيرنا. حتى نكون مثمرين لمجدك. قادر أن تفتح بصائر الناس الداخلية، لكي يعرفوا فيك الخلاص الكامل وشدد على القلوب أن تقبل هذا الخلاص من يمينك. آمين.

ومعنى الجسد هنا الإنسان كله وإلا فالتقدمة لا تشمل العقل. ومثل هذا قوله للكورنثيين «لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (كورنثوس الأولى 6: ٢٠). ولعل الرسول ذكر الجسد، لأنه الآلة التي يظهر بها المؤمن وقفه نفسه لخدمة المسيح، ولا يستطيع أن يظهر إلا بها. وقد اشترط الرسول أن تكون الذبيحة:

السؤال:

٢٣ - ما هي وسائل النعمة التي أعدها الله للبشر؟

١. حية - تمييز لها عن التقدّمات التي كان يجب على القدماء أن يقدموها، فهذه كان يجب أن تقتل. وقد أُلغيت هذه، لأن موت المسيح كحمل الله على مذب الصليب أزال إلى الأبد تقديم الذبائح الحيوانية كفارة للخطية. فلا يُطلب في العهد الجديد، إلا ذبائح الشكر والحمد (الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ١٥ و١٦).

الْمَزْمُورُ الْخُمْسُونَ - ذبائح الحمد

١٤ اذْبَحْ لِلَّهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ أَلْعَلِّي نُدُورَكَ، ١٥ وَأَدْعِنِي فِي يَوْمِ الضَّيْقِ أَنْقِذْكَ فَتَمَجِّدْنِي.

٢. مقدسة - شرط في ناموس موسى، أن تكون البهائم التي تُقدّم في الهيكل طاهرة بلا عيب. كذلك شرط على المسيحي أن تكون تقدمته مقدسة، بدليل قول الرسول «ولا تقدّموا أعضاءكم آلات إنهم للخطية، بل قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله» (رومية 6: ١٣).

هذا احد المزامير التي تحمل اسم أساف. ويقول المفسرون إن أساف علاوة على كونه أحد أئمة المرمنين، كان شاعرًا روحياً ممتازاً. وفي سفر المزامير اثنا عشر مزموراً، كلها تحمل اسمه. ولقد تميزت هذه المزامير بصفة خاصة، إنها تصور الله يتكلم قاضياً للشعب.

٣. مرضية عند الله - لأن تلك التقدمة روحية، فهي مما يسر الله بدليل قوله: «الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (الإنجيل بحسب يوحنا ٤: ٢٣) ومما يجعلها مرضية، أن المؤمنين يقدمونها باسم يسوع المسيح. ومن مواضع الفرح أن يكون للإنسان شيء يقدر أن يقدمه لله ويرضيه.

(١٤) من البدهي أن الله لا يأكل لحم الثيران، ولا يشرب دم الثيوس. وإنما الذبائح المطلوب إلى المؤمن أن يقدمها، هي ذبائح شكر لله، لأجل إحساناته الكثيرة. وأولى هذه الذبائح هي جسد المؤمن وفقاً للوصية الرسولية القائلة «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تعيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رومية ١٢: ١ و٢).

وهناك ذبيحة الشكر العملي، الذي يتميز بما يرافقه من ذبائح فعل الخير والتوزيع التي يسر بها قلب الله (الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ١٦) ونقرأ في أمثال ١٩: ١٧ «من يرحم الفقير يفرض الربّ وعن مغروفه يجازيه» وأنه لجميل حقاً أن يعلن الله نفسه نصيراً للفقير. وقد سمح بوجود الفقراء ليمتحن بها قلوب الأثرياء. وهو يتقبل ما يفعلونه لإغاثة الملهوف، وكأنهم يفعلونه به، بدليل قول المسيح «بما أنكم فعلتموه بأحد إخواني هؤلاء الأصغر فبي فعلتم».

يَا أَيُّهَا الْفَادِي يَا أَيُّهَا الْفَادِي
كُنْ قُوَّتِي زَادِي
أُمْنُنْ بِإِرْشَادِي
صَرِّحِي الْحَصِينِ

الصلاة:

مبارك اسمك، أيها السيد الرب، ولك المجد والقدرة والسلطان أنت إله صالح، ومصدر كل خير ونعمة وسلام. اللهم نشكرك ونحمدك على الدوام، لأجل بركاتك الوفيرة. نشكرك لأجل بركة الخلاص بالنعمة، التي باركتنا بها. ثبتنا في القداسة، التي اشتراها لنا المسيح بموته من أجلنا. بارك أوطاننا ببركة الحياة، وانشر سلامك في ربوعنا. آمين.

السؤال:

٢٤ - ما الفرق بين ذبائح العهد القديم والعهد الجديد؟

الْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ - التوبة النصوح

الرَّحْمَنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ
أَمْحُ مَعَاصِي. ٢ أَعْغَسْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي
طَهِّرْنِي. ٣ الْأَيْ عَارَفَ بِمَعَاصِي وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِمًا.
٤ إِلَيْكَ وَحَدِّكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قَدَامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ
تَتَبَّرَ فِي أَقْوَالِكَ وَتَتَزَكَّى فِي قَضَائِكَ. ٥ هَمَنْدًا بِالْإِثْمِ صُوِّرَتْ
وَبِالْخَطِيئَةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي.

٦ هَا قَدْ سُرُزْتُ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَمِنِ السَّرِيرَةِ تُعَرِّفْنِي
حِكْمَةً. ٧ طَهِّرْنِي بِالزُّوْفَا فَاطْهَر. أَعْغَسْنِي فَأَبْيَضَ أَكْثَرَ مِنْ
الْتَلَجِ.

قيل إن داود كتب هذا المزمور بعد ارتكاب الخطية مع بثشبع، امرأة أوريا الحثي. وليس من شك في أن هذا المزمور من أعمق صلوات التوبة والتماس الغفران. ومن ميزات هذا المزمور أن آياته، تظهر لنا أن الخطية غريبة عن الإنسان. وأيضاً هذه الآيات تتغنى بنبيل الإنسان وتجابهه مع فكر الله بوجود طهارة القلب. ونظراً لأهمية هذا المزمور، في إعداد النفس للتوبة راحت بعض الكنائس تتلوه سبع مرات في كل يوم في فصل الصوم.

(١) يستهل داود المزمور بطلب الرحمة من الله، ومع أنه كان في صدد خطية واحدة، إلا أنه سأل غفران معاصيه كلها. لأنه وقع تحت تأنيب الروح القدس. والروح المبارك ذكره بخطاياها السالفة، فصرخ إلى الله قائلاً «ارحمني يا الله حسب رحمتك». كان في حنايا صدره شيء من صلاة إرميا

بالحق، أن المحبة التي تعبر عن ذاتها بالعبادة، لمحبة نامية. ولا بد أن عطاؤها يثمر بركات روحية، هكذا نقرأ في الكلمة الرسولية «مَنْ يَزْرَعُ لِحَسَدِهِ فَمِنْ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنْ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً. فَلَا نَفْسُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنَّهَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لَا نَكِلُ» (غلاطية ٦: ٨-٩).

(١٥) الحياة مملوءة بالضيقات. وهذه الضيقات، لا يعنى أحد منها. ولكن الوعد بأن المسيح لا يهملنا ولا يمنع معونته عنا، ولا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ (كورنثوس الأولى ١٠: ١٣) ولنذكر أن هذه الضيقات مع الإيمان المحتمل تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد.

إن يوم الضيق، هو يوم شر. وقد وقع فيه يوسف الصديق، فدعا الرب فأنقذه. ووقع فيه داود، وإذ لم يدع الرب سقط فيه وذاق المرارة. ووقع فيه بطرس، وكاد يهلك لولا أن يسوع صلى من أجله، فلم يفن إيمانه. إن يسوع هو رسالتنا. وصلبيه قوة خلاصنا في يوم الضيق.

ادع يسوع يا أخي، ولا تخف من الضيقات، فبالروح ينشئ لك الضيق صبراً والصبر تزكية، والتزكية رجاء والرجاء لا يخزي. لأن المسيح يسكب محبة الله في قلبك بالروح القدس الذي حُتِمَ به ليوم الفداء.

الترنيمه

إِنِّي لَكَ أَلْدَهْرًا
رَبِّي أَلْعِينُ
قَلْبِي وَمَا فِيَّ
حَامِي رَاعِي
خَصَّصْتَ مَا عِنْدِي
وَقْتِي التَّمِينُ
أَجْرَى دَمَ الْحُبِّ
مُدَّ سَالَ مِنْ جَنْبِ
بِالرُّوحِ يُجَيِّبُنِي
نَصْرِي الْمُبِينُ
فِي مَهْجَتِي حَلَا
أَعْطِي لَهُ الْكَلَا
نَفْسِي لَهُ وَقَفُ
فِي كُلِّ حِينٍ

سَلَّمْتُكَ الْأَمْرًا
أَهْدِي لِفَادِي
رُكْنِي الْمَتِينُ
لِلْمُنْقِذِ الْمُبْدِي
مَوْلَايَ بِالصَّلْبِ
ذَاكَ الطَّعِينُ
رَبِّي وَيَعْطِينِي
بِمُلْكِهِ أَوْلَى
رَبِّي الْأَمِينُ
يَزْكُو بِهَا الْعُرْفُ

إن كلمة غسلنا تعني أيضاً حررنا. إذ كل من يقبل فداء المسيح يطلقه المسيح في الحرية، بعد أن دفع حياته ثمناً لهذه الحرية. ولكن لنتنبه! لأنه إن كانت محبة المسيح الفادية مستمرة، فالصليب لا يتكرر. بمعنى أن الذي حرره المسيح لا يجوز له أن يرتبك مرة أخرى بعبودية الخطية.

(٤-٣) نرى في داود التائب ذلك الرجل، الذي أيقظ روح الرب أحاسيسه فذكر ما هو فيه من سوء حال، بل وجد خطيته ماثلة أمام عينيه. الأمر الذي انتزع الاطمئنان والراحة من أفق حياته، ولاشى السلام من قلبه.

لقد التقى بصلاة اعترافه بإشعياء حين قال «لأنَّ مَعْاصِيَنَا كَثُرَتْ أَمَامَكَ، وَخَطَايَانَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا، لِأَنَّ مَعْاصِيَنَا مَعَنَا وَأَثَامَنَا نَعْرِفُهَا. تَعَدَّيْنَا وَكَذَبْنَا عَلَى الرَّبِّ، وَجَدْنَا مِنْ وَرَاءِ إِهْنَانَا. تَكَلَّمْنَا بِالظُّلْمِ وَالْمُعْصِيَةِ. حَبَلْنَا وَلَهَجْنَا مِنْ أَلْقَلْبِ بِكَلَامِ الْكَذِبِ» (إشعياء ٥٩: ١٢-١٣). ونعلم من النصوص المقدسة أن الشعور بالخطية هو أول درجات الاستغفار وبلي ذلك الاعتراف بالخطايا، الذي يقابل بغفران الله. بدليل قول الرسول يوحنا «إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (يوحنا الأولى ١: ٩).

إن الخطية عامل لا يمكن إنكاره في وعي كل إنسان. وهي ليست تصرفاً عابراً، وليست مجرد حماقة أو جهالة أو زلة قدم. وإنما هي حالة فساد، وعصيان ضد الله وتمرد عليه، وانحراف عن الطريق الذي رسمه الله للإنسان. وشر أضرار الخطية أنها تفصل بين الإنسان وإلهه. بدليل قول الله «أَثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِيَّاهُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ» (إشعياء ٥٩: ٢).

(٥) ويكشف لنا التائب أن خطيته لم تكن أمراً طارئاً، بل هي قديمة تعود إلى أصله، وهذا لا يعني أنه يبرر نفسه، كأن يقول إن الخطية شيء موروث فلا ذنب علي إذاً. العكس هو الصحيح، وإنما أراد أن يوجه الأنظار إلى أن الخطية في الإنسان تعود إلى طبيعته الفاسدة. ونرى في عباراته أن المرنم لم يشأ أن يبجك النظريات حول الخطية، أو يتمادى في الرثاء على حاله بسببها. ولكنه اعترف بحقيقتها. وفي توغله إلى عمقها، يوجه أنظارنا إلى خطايانا، حاضراً إيانا أن نحذو حذوه بالاعتراف والتوبة وطلب الرحمة والغفران من الله.

النبى حين قال: «تَوْبِنِي فَأَتُوبَ... لِأَنِّي بَعْدَ رُجُوعِي نَدِمْتُ... وَخَجَلْتُ لِأَنِّي قَدْ حَمَلْتُ عَارَ صِبَايَ» (ارميا ٣١: ١٨ و١٩). وكان في استرحامه شيء من تضرع العشار، الذي وقف بعيداً عن قدس الهيكل، ولم يشأ أن يرفع عينيه نحو السماء. بل قرع صدره، قائلاً «ارحمني اللهم أنا الخاطيء». هذا هو تصرف القلب التائب، أمام الله. أن يذهب في صلاته، إلى أبعد مما ذهب إليه سمعان بطرس، حين قال «أَخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ، لِأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ» (الإنجيل بحسب لوقا: ٥: ٨).

إن صلاة القلب المنكسر في توبته تتركز في شيء واحد هو طلب رحمة الله. وفي قوله ارحمني، رُسم للناس في كل جيل وعصر الطريق الوحيدة للرجوع إلى الله. لقد أدان نفسه، فبرر الله. والله البار، رحمه وبره وقدس.

ومع أن دم حمل الله الذي يرفع خطية العالم، لم يكن قد سُفِكَ بعد، ومع أن حجاب الهيكل لم يكن قد شق بعد من أعلى إلى أسفل، فقد عرف إمام المرنمين الطريق الواجب أن يسلكها التائب طالب الغفران.

لقد تبرر لأنه وقف الوقفة التي تليق به في حضرة الله القدوس. وهذه الوقفة تليق بكل إنسان. ولسعادة الإنسان التائب، أن عرش النعمة مفتوح لكل طالب الله. وقد قال المسيح «أَنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرْحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَخْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (الإنجيل بحسب لوقا ١٥: ٧).

(٢) حين شعر المرنم بنجاسة الخطية، التي ارتكبتها، سأل الله أن يغسله من إثمه ويظهره من خطيته. وليس من شك في أن الله استجاب لطلبته، بدليل قوله «وَجَدْتُ دَاوُدَ بَنَ يَسَى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي، الَّذِي سَيَضْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي» (أعمال ١٣: ٢٢).

نقرأ في زكريا عن الينبوع، الذي يفتح في اورشليم للخطية والنجاسة (زكريا ١٣: ١). وهذا الينبوع تفجر فعلاً خارج مدينة الله من على الصليب، لكي يغسل خطايا كل من يؤمن بالفادي. وقد أعلن يوحنا الإنجيلي هذه الحقيقة للأجيال، إذ قال «الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ» (رؤيا ١: ٥ و٦).

وَرُوحَ عَدْلٍ ظَاهِرًا جَدُّهُ فِي أَحْشَائِي

الصلاة:

أها الرب إلهنا الصالح، إليك نرفع قلوبنا مصلين ومعترفين بخطايانا. إن كنت تراقب الآثام يا رب، فمن يقف قدامك؟ نأتي إليك باسم يسوع الشفيح، نادمين على خطايانا السالفة، ومصممين على التوبة. فتحنن علينا، واشفق على حالتنا المتردية، واغفر لنا ما سلف من آثامنا. طهر قلوبنا بدم يسوع، حمل الله رافع خطية العالم. وقونا في حياتنا وثبتنا، لكي لا نعود إلى ارتكاب الذنب. آمين.

السؤال:

٢٥ - ماذا رأيت في هذا المزمور؟

الْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ - تابع

أَسْمِعْنِي سُورًا وَفَرِحًا فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَفَتَهَا. ٩ أَسْتُرْ وَجْهَكَ عَن خَطَايَايَ وَأَمْحُ كُلَّ آثَامِي.

١٠. قَلْبًا نَقِيًّا أَخْلَقَ فِيَّ يَا اللَّهُ وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدُّ فِي دَاخِلِي. ١١. لَا تَطْرَحْنِي مِنْ قَدَامِ وَجْهَكَ، وَرُوحَكَ أَقْدُوسَ لَا تَنْزِعْهُ مِنِّي. ١٢. أَرِدْ لِي بَهْجَةً خَلَاصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ أَعْضُدْنِي. ١٣. فَأَعْلَمَ الْأُمَّةَ طَرِيقَكَ، وَالْخَطَاةَ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ. ١٤. أَنْجِنِي مِنَ الدَّمَاءِ يَا اللَّهُ إِلَهَ خَلَاصِي فَيَسْبِحَ لِسَانِي بِرِّكَ.

(٨) في هذه الآيات يرفع المرنم قلبه إلى الله بعدة طلبات، تعبر عن نفس أمضها الفشل في التماس التعزيات، في مباحث العالم الفاني. ومن غمرة مللها، انطلقت نحو إلهها متوسلة وضارعة إليه أن يرحمها، ويمنحها سروراً من لدنه.

كان يصرخ إلى إلهه بلجاجة لكي يرد له بهجة خلاصه التي فقدتها بسبب خطيته. ولسعادته أن الرب الإله، محب ومديم الرحمة، وهو من أجل محبته الكثيرة يحنو على أتقيائه الذين عثروا. وهو يدعو كل واحد باسمه «أرجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت بإثمك. خذوا معكم كلاماً وأرجعوا إلى الرب. قولوا له: أرفع كل إثم وأقبل حسناً، فنقدم عجول شفاهننا... أنا أشفي أرتدادهم. أحبهم فضلاً، لأن غضبي قد ارتد عنه... ويكون بهاؤه كالزيتونة، وله رائحة كلبنان» (هوشع ١٤: ١-٦).

(٦) ومن صميم توبته يخرج علينا الكاتب بخبر مفرح مفاده أن الله يسر في أن يكون باطن الإنسان مملوء بالحق. لأن الدين الحقيقي هو ما كان راسخاً في القلب، بحيث يكون الإنسان شريف النوايا صادق الود، نقي الضمير، طاهر الفكر. وايضاً كشف لنا أن الله يريد أن نتجمل بالحكمة. ولنا هذه الوصية الرسولية «فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّوَقُّفِ، لَا كَجُهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ أَلْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ» (أفسس ٥: ١٥).

(٧) الزوفا نبات كان يستعمل في العهد القديم للتطهير من البرص (لاويين ١٤: ٤-٦) ومن الخطية كما في هذا المزمور. كما أنه استعمل واسطة لرش الدم (خروج ١٢: ٢٢) فطلبة داود هنا للتطهير من الذنب. ولسعادة البشر، فإن باب النعمة مفتوح لكل تائب، يطلب الله بالقلب المنكسر. هكذا نقرأ «هَلُمَّ نَحْجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْفِرْمِزِ تَبْيَضُ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ» (إشعياء ١: ١٨).

اطرق باب النعمة يا أخي فالله في المسيح يشبه قاضياً، نزل عن كرسي القضاء، وجلس بجانب المذنب. وأخذ يكلمه باللطف، ويبين له فظاعة خطيته، ويجرضه على التوبة. ويعدده بالغفران التام، شرط أن لا يعود إلى فعل الشر. فما أعظم غفران الله! إنه كمحبته له عرض وطول بحيث يشمل جميع الخطاة وكل الخطايا. وله عمق، لأنه يصل إلى افكار القلب والخطايا السرية. وله علو لأنه يدخل الخاطي النجس في جماعة الأبرار القديسين، الذين دعوا أهل بيت الله. وينال أخيراً المجد والسعادة والإكرام والحياة الأبدية في السماء. ليس لبر في أعمال عملها، ولكن بمقتضى الرحمة لأنه صدق قوله وقبل وعده في المسيح وأطاعه. وآمن بذبيحة الفداء.

الترنيمه

مِثْلَ عَظِيمِ رَحْمَتِكَ
وَمِثْلَ فَرْطِ رَأْفَتِكَ
إِغْسِلْ كَثِيرًا سَيِّدِي
وَهَكَذَا خُدْ بِيَدِي
إِنِّي بِإِثْمِي عَارِفٌ
وَهُوَ أَمَامِي وَأَقِفْ
أَخْطَأْتُ يَا رَبُّ إِلَيْكَ
وَأَلْسَرَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ
قَلْبًا نَقِيًّا ظَاهِرًا

يَا خَالِقِي أَرْحَمْنِي
أَمْحُ الْخَطَا عَنِّي
نَفْسِي مِنَ الذَّنْبِ
مُطَهِّرًا قَلْبِي
مُعْتَرِفٌ جَهْرًا
أَنْظُرُهُ الدَّهْرَا
بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
صَنَعْتَ فَأَصْفَحْ لِي
بِي أَخْلُقَهُ يَا مَوْلَايَ

يكفي أن تكون النوايا حسنة والرغبات طاهرة، لتكون أُنقياء القلب. ولكن هذا كلام مردود جملة وتفصيلاً، لأن النوايا والرغبات جميعها تنبع من القلب، فكيف إذن تستطيع هذه أن تنقيه.

القلب ينقى بالخلق الجديد. الذي هو عمل الله، بدليل قوله «وَأَنْزَعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ لِيَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي وَيَحْفَظُوا أَحْكَامِي وَيَعْمَلُوا بِهَا» (حزقيال ١١: ١٩-٢٠). شارك داود هذه الطلبة يا أخي «قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي».

الروح المستقيم هو من الله، والله مستعد أن يجدد به كل من يطلب وجهه بإيمان، وفقاً لقوله: «وَأَرْشُ عَلَيكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتَطْهَرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَضْطَامِكُمْ أَطْهَرِكُمْ. وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً، وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزَعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ» (حزقيال: ٣٦: ٢٥-٢٧).

(١١-١٤) هذه الآيات تصور لنا داود التائب المنكسر أمام الرب، والراجي رحمته وهو يحاول النهوض من كبوته. ولكن ليس بقوته، بل بقوة إله الذي رجع إليه بتواضع. ويلتمس من الرب الإله أن لا يصدده، بل ان يقبله ويرد له بهجة خلاصه، وأن يؤيده بروح منه، لكي يثبت ضد مكاييد إبليس، وبالتالي يشهد لعمل نعمة الله بين شعبه. لكي يرشدهم إلى النعمة المخلصة، التي علمته أن ينكر الفجور، الذي في العالم بالشهوة. والواقع أن رغبات النفس التي عرفت إلهها وتبررت بنعمته، تلتفت إلى الضالين وتعمل لاقتيادهم إلى ينابيع النعمة المخلصة. ولعل داود الذي اختبر فرح الله بالغفران، أراد أن يسلك كابن نور لكي يصير قدوة لشعبه.

يختم المرنم الحلو مزموور التوبة هذا بطلبة مهمة. إذ يسأل الله أن ينجيه من مغبة الدماء، التي سفكها ظلاماً وعدواناً. ولعله يعني بذلك دماء أوربا الحثي الذي أرسله للقتل. وقد اعترف بذلك، لكي يستطيع أن يسبح ببر الله وخلاصه.

الترنيمه

لَا تَطْرَحْنِي مُهْمَلًا
وَرُوحَكَ الْقُدُوسَ لَا
مَجْدَ خَلَاصِكَ الْبَيْهِي
رُوحَ سَمَاوِي بِهِ
مِنْ وَجْهِكَ الْمَغْنِي
تَنْزَعُ إِذَا مَنِي
أُسْكَبُ عَلَى عَبْدِكَ
أُعْضُدُنِي مِنْ عِنْدِكَ

إننا نعلم علم اليقين أن الله، الذي قَبِلَ داود وصيره رجلاً حسب قلبه ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. فهو يقبل كل تائب. وكلمة ارجع إلى الرب، التي تكررت على ألسنة الأنبياء تعني: لا تتطلع إلى الرب فقط، أو تتخذ بضع خطوات نحوه، بل جد بالمسير نحوه. تعال إليه ومعك كلام، أي صلوات شكر صاعدة من إنسانك الباطن. خذ أيضاً كلاماً من الكتاب المقدس. بواسطة روح النعمة، الذي يعلمك أن تصرخ يا أبا الآب. لا تقل مثل فرعون: ارفع عنا هذا الموت، بل قل، مع هوشع، ارفع كل إثم، ارفعه كقتل يوشع أن يسحقني. ارفعه يا رب، لكي لا يظهر ثانية لازعاجي وإهلاكي. ارفعه بغفران كامل مجاني، لأن ليس لي استحقاق.

(٩) إن ستر الخطايا ومحو الآثام يتم بعمل المسيح الكفاري، الذي غطانا بدمه المبارك الذي سفك على الصليب. هذا الدم المبارك غفر آثامنا، وأسدل الستر على خطايانا. وطوبى للذي غفر أثمه وسترت خطيته. وهكذا قيل عن الله أنه يطرح الخطية وراء ظهره (اشعيا ٣٨: ١٧) قال أحد المفسرين: إذا طرحنا خطايانا وراء ظهورنا، فالرب يضعها أمام وجهه. وإذا وضعنا خطايانا أمام وجوهنا، أي اعترفنا بها، فالرب يطرحها وراء ظهره.

إن هذه التعبيرات وأمثالها تعني بالنسبة لنا، أن أساس تطوينا وسعادتنا، ليس هو براءتنا، لأن الخطية قائمة وهي تنجس الأرض، ولو كانت مستترة عن الناس. لكن أساس تطوينا، هو أن الله لا يحسبها علينا. وهذا تفضل من الله، أنه لم يعاملنا بعدله المطلق، كما نستحق. وهذا كله عمل النعمة، التي صارت بالمسيح.

(١٠) قال يسوع في عظته على الجبل: «طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ» (الإنجيل بحسب متى ٥: ٨). وقد أراد لهذه التطوية أن يعلمنا أن لشركاء المسيح طهارة أعظم من الطهارة الطقسية التي كان اليهود يمارسونها كالغسولات والامتناع عن بعض الأطعمة. ونفهم أيضاً أنه ليس في وسعنا أن نكون سعداء ما لم نعاين الله. وأنه ليس في وسعنا أن نعاين الله، ما لم تكن قلوبنا نقية. فماذا نحن فاعلون بهذه القلوب النجسة، التي نحملها في صدورنا؟ وأية وسيلة، تنفع لتنقيتها؟ يقول البعض: بالأعمال الصالحة، تنقى القلوب. وصحيح أن الأعمال الصالحة ثمار جيدة، ولكنها لا تستطيع أن تنقى القلب. بل لعل صاحبها يتحول بمرور الزمن إلى صورة التقوى، فتصبح ديانته مظاهر خارجية، كما كانت ديانة الفريسيين. ويقول بعض آخر:

ثابتة، وهي ليست قائمة على أعمدة، لأنها قائمة بقوتك الضابطة الكل. ثم أغلق نافذة غرفته وترنم بابتهاج قائلاً:

إن الشيطان متجههم الوجه

لأنه يكره الموسيقى التي يحبها الله

لأن الموسيقى نور والشيطان ظلام

حَتَّى أَعْلَمَ الْخَطَاةَ
وَيَرْجِعَ الْقَوْمَ الْعَصَاةَ
مُخْلِصِي مِنَ الدَّمَآ
أَبْهَجُ لِسَانِي وَالْفَمَا
لَوْ كُنْتُ تَرْضِي الْمَحْرَقَةَ
بَلْ رُوحِي الْمُنْسَحِقَةُ
قَلْبُ الْوَدِيعِ الْمَتَّضِعِ
وَكُلُّ صَدِيقٍ رَعِ
طَرِيقَكَ الْأَسْتَى
إِلَيْكَ بِالْحُسْنَى
كُنْ حَافِظًا نَفْسِي
بِعَدْلِكَ الْقُدْسِي
بَادَرْتُ بِالْحُرْقِ
ذَبِيحَةَ الْحَقِّ
لَا يَزِدُّنِي اللَّهُ
أَلْبُ يَرْعَاهُ

الصلاة:

يا إلهنا رب الخلاص، منك كل نعمة وخير. فنشكرك لأجل صلاحك الغني بالغفران. غفرت آثامنا وغسلتنا من خطايانا بدم الحمل. نحن لا نستطيع إدراك أبعاد محبتك التي أحببتنا بها، فزد إيماننا لكي نسجد لهذه المحبة، التي تجلت لنا في شخص الرب يسوع، الذي أحبنا، فرحمنا، وفدانا. إننا نضم أصواتنا إلى داود الملك قائلين قلباً نقياً اخلق فينا يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلنا آمين.

السؤال:

٢٦ - ماذا كانت طلبه داود التي أثارت انتباهك؟

كتب الرسول بولس من صميم اختباراه وصيته المشهورة للأفسسيين لأجل إكمال بنيانهم على المسيح فقال «ولا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلْ أَمْتَلُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحٍ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ» (أفسس ٥: ١٨ و١٩). فالتسابيح هي الترانيم المرفوعة إلى الله حمداً. وهي تعبر عن قوة الإحساس الروحي الذي يملك على الإنسان مشاعره، عند امتلائه بالروح القدس، ويتدفق منه كلام التسبيح. وخصوصاً متى كان في عزلة عن العالم الخارجي، أو وحيداً مع إخوته في يسوع.

الْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ - تابع

ومما لا ريب فيه أن سفر المزامير هو مدرسة للصلاة لما فيه من نماذج رائعة للتسبيح. وقد قال اثنا سيوس الملقب بالرسولي. يستطيع المؤمن أن يتناول كلمات التسبيح في المزامير لشفتيه ويرددها، وكأنها كلماته. وأنا لتتعلم من المزامير صياغة الكلمات، التي بها نسيح الرب، في كل مناسبات حياتنا.

١٥ يَا رَبُّ أَفْتَحْ شَفَتَيَّ فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ.
١٦ لِأَنَّكَ لَا تَسُرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلَّا فَكُنْتُ أَدْمَهَا. بِمَحْرَقَةٍ لَا تَرْضَى. ١٧ ذَبَابِئِحُ اللَّهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللَّهُ لَا تَحْتَقِرْهُ.

(١٦) مع أن عهد الذبائح كان قائماً في زمن داود إلا أن رجال الله في العهد القديم كانت لهم رؤى مستقبلية عن عهد النعمة، الذي فيه أعد الله الكفارة بذبيحة أفضل، تكمل إلى الأبد المقدسين. وكثيرون منهم تلقوا إعلاناً عن حمل الله، الذي يرفع خطية العالم، منهم إشعياء النبي الذي نقل لنا إعلان الله القائل «لماذا لي كثرة ذبائحكم؟» يقول الربُّ «أَخْمَتُ مِنْ حُرْقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمٍ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخَرْفَانٍ وَتَيْبُوسٍ مَا أَسْرُّ» (إشعياء ١: ١١). ومنهم عاموس النبي، الذي نقل لنا إعلان الله القائل «إني إذا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقَدِّمَاتِكُمْ لَا أَرْضِي، وَذَبَابِئِحَ السَّلَامَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لَا أَلْتَمِتُ إِلَيْهَا» (عاموس ٥: ٢٢) ولعل داود تلقى إعلاناً مماثلاً. فقال في صلواته «لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكننت أقدامها بمحرقة لا ترضى».

(١٥) بعد أن شعر داود بقبول توبته، وبأنه نال غفران الله، كان من البديهي أن تنطلق شفاته بالتسبيح، تعبيراً عن ابتهاجه بالخلّاص الذي ناله من الرب. هذا هو فرح الله الذي يملأ كيان المؤمن، ويصير فيه قوة لمغالبة الأقدار. والفرح هو أحد ثمار الروح القدس، التي تمتاز بها حياة المؤمن، وهو يظهر بالترنيم، وفقاً لقول الرسول «مَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرْتَلْ» (يعقوب ٥: ١٣).

إن روح الانقباض والعبوس، ليس روح المسيح، بل روح العالم. فرح. شعر الدكتور مارتن لوثر بأن الشيطان بهاجمه، ففتح نافذة غرفته، وهدق ببصره نحو السماء المرصعة بالنجوم. ثم التفت إلى الأحراش الكثيفة المظلمة من حوله. وأخيراً اتجه بقلبه إلى الله، قائلاً: يا إلهي إني أرى السموات

فَمِلْءِ الْبَهْجَةَ أَنْشُدْ الْفِدَاءَ

الصلاة:

يا رب الهنا الحاضر في كل مكان والقادر على كل شيء لك أعطي قلبي ذبيحة شكر لأجل خلاصك المجيد. اقبلن ذبيحتي قلباً منسحقاً بالتوبة أمام جلالك. قدسني في حقك واحفظني في اسمك لكيلا أعثر. مكتوب عنك أنك قريب من كل الذين يدعونك، الذين يدعونك بالحق. تقبل مني الحب والولاء والتعبد لشخصك المبارك. آمين.

السؤال:

٢٧ - ما هي الأمور التي أثارها داود في هذا القسم من صلاته؟

الْمَزْمُورُ الثَّلَاثُ وَالسُّتُونَ - داود في برية يهوذا

١ يَا اللَّهُ إِلَهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أَبْكُرُ. عَطَشْتَ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلَا مَاءٍ،
٢ لِكَيْ أَبْصِرَ قُوَّتَكَ وَجَمْدَكَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَكَ فِي قُدْسِكَ. ٣ لِأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ. ٤ هَكَذَا أَبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ. ٥ كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيْ الْأَبْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي.
٦ إِذَا ذَكَرْتُكَ عَلَى فِرَاشِي، فِي السُّهْدِ الْهَجِ بِكَ، ٧ لِأَنَّكَ كُنْتَ عَوْنًا لِي، وَبِظِلِّ جَنَاحِيكَ أَبْتَهَجُ. ٨ الْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي.

ليس هناك موضع للتساؤل عن كذب هذا المزمور، فإن كل آية فيه تحمل توقيع داود. ولكن السؤال الذي يصح أن يطرح، هو: متى وأين كتبه إمام الرمنين؟ لم يتفق المفسرون على زمان كتابة المزمور. ولا على كلمة برية يهوذا، التي وردت في العنوان، ولكن ذهب بعضهم إلى القول أن المزمور كتب هذا المزمور حين كان مبعداً عن وطنه، مصوراً حينه إلى مقدس الله.

(١) كان اليهود يفزعون من كلمة «يهوه» التي استهل داود بها هذا المزمور. ولا ينطقون به، إلا مرة واحدة في السنة. وذلك في يوم الكفارة العظيم. على أن لا ينطق به، إلا رئيس الكهنة في قدس الأقداس. ولكن داود كان قد اختبر خلاص الله، وأعطى رؤى بعيدة المدى، فعرف أن الله لن يبقى ذلك الإله المحتجب، بل سيتجلى لشعبه عند ملء الزمان، ويصير لهم راعياً. وقد رأينا في المزمور الثالث

وبدهي أن الله القادر على كل شيء، والذي له كل شيء ليس بمحتاج إلى شيء من بني البشر. ولا يريد منهم، إلا المحبة والطاعة. أما الذبائح التي كانت تقدم في العهد القديم، فقيمتها كانت قائمة في كونها ظلاً لذبيحة المسيح. وكانت في ذات الوقت علامة الإيمان والطاعة ممن كانوا يقدمونها. وقد أشار كاتب رسالة العبرانيين إلى هذه الحقيقة، إذ قال «وَأَمَّا السَّمَاوِيَّاتُ عَيْنُهَا فَبِذْبَائِحِ أَفْضَلِ مِنْ هَذِهِ. لِأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدِ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيُظْهَرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ لِأَجْلِنَا. وَلَا لِيَقْدِمَ نَفْسَهُ مِرَاراً كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ... بِدَمِ آخَرَ... وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَظْهَرَ مَرَّةً عِنْدَ أَنْفِصَاءِ الدُّهُورِ لِيُبَيِّنَ الْخَطِيئَةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ» (عبرانيين ٩: ٢٣-٢٦).

(١٧) ما أن سلم داود قلبه كاملاً إلى الله، حتى اكتحلت عيناه بنور الإعلان الإلهي، فتكشفت له الحقيقة عما يرضي الله، فقال «ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق، يا الله لا تحتقره». فالله لا يسر بالرسوم الخارجية، حتى لو قدمت وفقاً للطقوس، إذ لم يتب الذين يقدمونها عن خطاياهم. وهو لا ينظر إلى رسوم العبادة، بل ينظر إلى الروح الذي به تقدم العبادة. وهو لا ينظر إلى الكلام الذي تتلفظ به شفتا العابد، بل ينظر إلى حال القلب الداخلية.

أجل إن الذبائح التي يقبلها الرب ويتنسم منها رائحة السرور هي الروح المنكسرة والقلب المنسحق بالتوبة. هذه دعوة كل إنسان أن يتوب، إنها دعوتك، بدليل ما جاء في الكتاب العزيز «فَاللَّهُ الْآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاظِيًا عَنْ أَرْمَتَةِ الْجَهْلِ» (أعمال ١٧: ٣٠). والكتاب العزيز يقول للتائبين «خُذُوا مَعَكُمْ كَلَامًا وَأَرْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ. قُولُوا لَهُ: أَرْفَعْ كُلَّ إِثْمٍ وَأَقْبَلْ حَسَنًا، فَتَقْدِمَ عَجُولَ شِفَاهِنَا» (هوشع ١٤: ٢) عجول الشفاه هي صلوات الشكر، وهي من الذبائح المقبولة عند الله، حينما تصدر عن القلب المغسل بدم يسوع.

الترنيمه

هَا أَنَا أَجْتُو لَدَيْكَ
وَأَقِفْ نَفْسِي عَلَيْكَ
وَأَهْبِأ كُلِّي إِلَيْكَ
حَافِظَ الْوَلَاءِ
فَلْيَكُنْ كَمَا تُرِيدُ
عَنْ رِضَاكَ لَا أَحِيدُ
يَا مُخْلِصِي الْجَمِيدِ
مُرْ بِمَا تَشَاءُ
مُنْقِذِي بِالنِّعْمَةِ
قَدْ مَحَا خَطِيئَتِي

(٣ و ٤) انطلاقاً من شعوره بنعمة الله العاملة فيه، يوصي المرنم كل إنسان بطرق باب رحمة الله، التي بدونها لا حياة. ولأن الله غني في الرحمة، فهو يستحق التسبيح من كل شفة. ولا شيء يوازي مراحمه، إلا قدرته ومجده. ومع أن داود كان يعاني من ظروف صعبة، إلا أنه أحنى الركبتين أمام الله. وطفق يرفع آيات الشكر للمنعم الجواد، قائلاً «هكذا أباركك». هذا هو موقف المؤمن إنه يعترف بفضل الله عليه ويعظمه كل حين. لأنه نقله من الحال، التي كان فيها بالطبيعة. وهي حال الخطية والشقاء، إلى حال النعمة والقداسة والسعادة. كان في حال الطبيعة بلا رجاء، ولكن رحمة الله في المسيح أدخلته في حياة جوهرها الرجاء، الذي يبقى معنا إلى نهاية الحياة الأرضية، يشدد عزائمنا على احتمال أوصابها.

(٥) إلهنا أمامه شبع سرور وفي يمينه نعم إلى الأبد. وهو يدعو الكل إلى وليمة الخلاص قائلاً «لِمَاذَا تَزُنُونَ فَضَّةً لِعَبِيرِ خُبْزٍ، وَتَعْبِكُمْ لِعَبِيرِ شَبْعٍ؟ اسْتَمِعُوا لِي اسْتَمَاعاً وَكَلُوا الطَّيِّبَ، وَلْتَتَلَذَّذُوا بِالِدَسَمِ أَنْفُسِكُمْ. أَمِيلُوا آذَانَكُمْ وَهَلِّمُوا إِلَيَّ. أَسْمَعُوا فَتَحِيًّا أَنْفُسَكُمْ. وَأَقْطَعْ لَكُمْ عَهْداً أَبَدِيًّا، مَرَّاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ» (إشعياء ٥٥: ٢ و ٣).

إن أهل العالم يكترون من الأفراح الجسدية، وينفقون في سبيلها أموالاً طائلة ولكنهم لا ينالون شيئاً يشبع النفس. أما المؤمنون فقرحهم في الرب الذي يشبعهم كل يوم من خبز الله النازل من السماء، الواهب حياة للعالم، وهذا الخبز، هو يسوع الذي قال: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَداً» (الإنجيل بحسب يوحنا ٦: ٣٥). ويدهي أن الذي يتغذى روحياً بالمسيح، لا بد أن تشبع نفسه كما شبعت نفس داود، ويذيع حمد الله وتسبيحه كما فعل داود.

(٦-٨) تعود داود أن يستيقظ إذ الليل بعد ليصرف وقتاً طويلاً في التأمل. وقبل أن ينهض من فراشه كان يلهج بذكر الله. ويحمده على مراحمه، لأنه كان عوناً وسنده في الضيقات. وحينما تحيق به الأخطار، كان يبسط حمايته عليه. فازدادت محبته لله وصار الله له كل شيء. وأنه لأمر عظيم أن تلهج النفس بذكر الله. بل أن تمتلئ بشعور يملك عليها كل كيائها وتفكيرها في ساعة التأمل. انتظر الله بقلبك، وسلّمه كيائك كاملاً. إنه يريد القلب، ليحل فيه روحه القدوس. وعندئذ تمتلئ نفسك بفرح سماوي مجيد، ولك من الله هذه الوصية: يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عينك طريقي.

والعشرين، أن المرنم الحلو قال «الرب راعي» وهنا يقول: يا رب أنت إلهي.

إنه ليس مجرد إله، بل هو إلهي أنا. ويا للتغيير الذي تحدته ياء المتكلم هنا إن الفرق بين المعرفة وبين التطبيق، لشاسع جداً. إن قلت الرب «إله» فهذا يختلف كل الاختلاف عما إذا قلت: يسوع مخلصي. وحتى لو استطعت أن ترى المخلص في ضوء الحقيقة، مثل توما، وزالت عنك كل الشكوك، ولمست يديه، فإن هذا لن يفيدك كثيراً، إلا إذا استطعت أن تقول: ربي وإلهي، الله ينتظر أن يكون لك. إنه لا يكتفي بأن يكون إلهاً، إلهاً صالحاً، إله الملائكة والقديسين، بل يريد أن يكون إلهك أيضاً.

ولا مرء في أن داود كان يعرف أشواق الله إلى أن يتخذ الناس ولياً لهم. لأن هذا معلن في كتابه العزيز. وأكون لكم إلهاً، وأنتم تكونون لي شعباً (لاويين ٢٦: ١٢). وتجدد هذا الإعلان في إرميا ٣١: ٣٣ وحزقيال ٣٧: ٢٨ ورؤيا ٢١: ٣).

ومن ميزات داود أنه كان يحب الله حباً شديداً، وكان قلبه مفعماً دائماً بالشوق للمثول في حضرته. ولهذا كان يستيقظ باكراً جداً ويتقدم إليه بتسبيح الحمد. وفي أحيان كثيرة، كان يقيم الشركة معه سبع مرات في النهار (مزمو ١١٩: ١٦٤). هل تقويم مع الله علاقة، من هذا النوع؟ ليس المطلوب منك أن تصرف الوقت كله جاثياً على ركبتك ومصلياً. ولكن على الأقل تعلم أن تسكب قلبك قدام الله في الصباح الباكر، قبل أن تواجه يومك بأحداثه، التي لا تعلم عنها شيئاً. وما أحلى أن تواجهها بقوة الصلاة التي رفعتها إلى عرش النعمة. لكي لا تتعثر في يومك، وتكون أفكار قلبك وأقوال فمك وأعمال يديك مقدسة، خالية من الظلم.

(٣) يعود داود بالذاكرة إلى وطنه، فيزداد حنينه إلى خيمة الاجتماع، حيث كانت تقام العبادة لله، وقد أطلق على الخيمة مجازاً اسم مسكن الله بين شعبه. وكان هناك وراء الحجاب المسكن، الذي يُقال له قدس الأقداس، حيث كان تابوت العهد، المغطى بكرويم، وما بينهما كانت سحابة نورانية، تظهر دلالة على الحضور الإلهي بين العابدين. هذا ما أشار إليه داود بقوله: كي أبصر قوتك ومجدك، كما رأيتك في قدسك.

الترنيمه

مُتُونَنَا. ١٢ رَكَّبْتَ أَنْاسًا عَلَى رُؤُوسِنَا. دَخَلْنَا فِي النَّارِ
وَالْمَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الْخَضْبِ.

(١ و ٢) يفتتح المرنم هذا المزمور بحض سكان الأرض لكي يهتفوا لله، ويقدموا له مجداً. ولعله أطلق هذه الدعوة بعد تحررهم من عبودية بعض الأمم. مثله كإشعياء حين قال «عَنُوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ... لِيَرْفَعِ الرَّبُّ الرَّبِّيَّةَ وَمُدْنَهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارِ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِيَتَرَنَّمَ سَكَّانُ سَالِحٍ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتَفُوا. لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْداً وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ» (إشعياء ٤٢: ١٠-١٢). في هذه الآيات المجيدة، دعوة لجميع الأمم، لكي يعترفوا بفضل الله عليهم، ويتعبدوا له باحترام. ليس فقط كفريضة واجبة الأداء، بل أيضاً كتعبير عن المحبة لجلاله، كإله محب ومعتن بمخلوقاته. ويجرض المرنم الشاعر على أن تقدم العبادة لله بفرح ومهتاف المجد بدليل قوله «رنموا بمجد اسمه، اجعلوا تسبيحه مجداً».

قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين «لأنَّ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لَكِنَّا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ. فَلْتَقَدِّمْ بِهِ (بالمسيح) فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيُّ تَمْرٍ شَفَاهِ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ» (عبرانيين ١٣: ١٤ و ١٥) هنا نجد تعريفاً هاماً للتسبيح. وإنها لانطلاقة عجيبة أن يتحقق المؤمن أن التسبيح الحقيقي هو رفع رائحة المسبح الزكية لله. هذا ما يسر قلب الله، وما يسر قلب الله يفرح قلب كل من يعرف ويجب الرب يسوع.

إن التسبيح ليس له حدود، فهو مستمر ويستمر طول الأبدية. أي أن تكون حياتنا كلها ترنيمه حمد. وليس بالقوة ولا بالقدرة الجسدية، يمكن أن نسبح الله، بل بالمسيح الذي يضفي قيمة، ويوجد قبولاً لكل همسة خافته، تتحدث عن جمال الرب وأمجاده أمام عرش النعمة.

(٣-٥) حين نتأمل في هذا الكون العجيب، نرى مجد الله ونقف تهيئاً أمام قدرته العظيمة وحكمته الفائقة. فأعمال الله ذات هيبة، لا يستطيع الإنسان المدرك أن يمر بها دون أن يعطي مجداً لله. هذا في عالم الطبيعة، أما في عالم الروح، فإن أعظم أعمال الله هي عمل الفداء العظيم، الذي أكمله في يسوع المسيح.

قد يكون موت يسوع على الصليب أمراً مرهبا بالنسبة لتقديرنا أبناء هذا العالم. ولكنه بالنسبة للمخلصين هو التعبير الوحيد الكامل لمحبة الله، كما هو مكتوب «لأنَّهُ

إِلَيْكَ أَكْبَرُ يَا سَيِّدِي
إِلَى وَجْهِكَ أَنْفُسُ عَطْشَانَةٌ
أَفْضَلُ رَحْمَةِ رَبِّي عَلَى
تُسْبِيحِهِ شَفَتِي هَكَذَا
فَتَشْبَعُ نَفْسِي وَفِي ذَوْقِهَا
وَيَلْزَمُ مَا دُمْتُ تَسْبِيحُهُ
عَلَى الْمُهْدِ أَذْكَرُهُ لِيَلْتَمِي
فَقَدْ كَانَ عُونِي وَلِي مَلْجَأٌ

الصلاة:

أيتها الآب رب السماء، أيتها القدوس المبارك، نعظمك يا إلهنا ونعطيك الإكرام اللائق بجلالك الأقدس. ونرفع إليك التضرع لكي تقوي محبتنا وتعطينا روح الانتظار، روح التأمل والتعبد لشخصك الكريم. ضع في قلوبنا الشوق إليك والعطش إلى برك. حتى تشبعنا من خبز الحياة وتروينا من الماء الحي. آمين.

السؤال:

٢٨ - ما هي الدروس التي تتعلمها من قراءة اليوم؟

الْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ - تَسْبِيحَةُ اللَّهِ

١ اهْتَفِي لِلَّهِ يَا كُلَّ الْأَرْضِ. ٢ رَنَّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ.
اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مَجْداً. ٣ اقُولُوا لِلَّهِ: «مَا أَهْيَبَ أَعْمَالُكَ.
مِنْ عَظَمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ. ٤ كُلُّ الْأَرْضِ تَسْجُدُ
لَكَ وَتَرْتَمُ لَكَ. تَرْتَمُ لِاسْمِكَ». سِلَاة.

٥ هَلُمَّ أَنْظُرُوا أَعْمَالَ اللَّهِ. فِعْلُهُ الْمَرْهَبَ نَحْوَ بَنِي آدَمَ.
٦ حَوْلَ الْبَحْرِ إِلَى يَبَسٍ، وَفِي النَّهْرِ عَبْرُوا بِالرَّجْلِ. هُنَاكَ
فَرَحْنَا بِهِ. ٧ امْتَسَلْتُ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تَرَاقِبَانِ
الْأُمَّمَ. الْمَتَمَرِّدُونَ لَا يَرْفَعْنَ أَنْفُسَهُمْ سِلَاة.

٨ بَارِكُوا إِلَهَنَا يَا أَيُّهَا الشُّعُوبُ، وَسَمِعُوا صَوْتَ
تَسْبِيحِهِ. ٩ اجْعَلْ أَنْفُسَنَا فِي الْحَيَاةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ أَرْجُلَنَا
إِلَى الزَّلْزَلِ. ١٠ لِأَنَّكَ جَرَيْتَنَا يَا اللَّهُ. مَحَضْتَنَا كَمَحْضِ
الْفِضَّةِ. ١١ أَدْخَلْتَنَا إِلَى الشَّبَكَةِ. جَعَلْتَ ضَغْطاً عَلَى

(٨ و ٩) يكرر المرنم الدعوة إلى جميع شعوب الأرض، لكي يمجدوا الله كإله، ذي السلطان وحده، والمتفرد بالعظمة والجلال. ولأنه يليق باسمه المبارك التسبيح من شفاه طهرها وقدسها الاعتراف باسمه القدوس. وإنه يليق به الإكرام، لأنه يشاء أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. وهذا الإله الكريم الغني بكل لطف، عينه على مختاريه القديسين يثبتهم في الإيمان، ويمتعمهم ببركات الحياة ويحفظهم من الزلزل.

وهذه العناية الإلهية تُرى في اهتمام الرب يسوع بالمؤمنين، إذ يقول «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٠: ٢٧ و ٢٨).

لقد تعهد يسوع، الراعي الصالح أن يسمع الخراف صوته لكي تتبعه. ولعلك سمعت صدى هذا الصوت، من خلال كلمته الموزعة في العالم بالحرف المكتوب، أو على أجنحة الأثير. هذا امتياز لك، إن كنت تتبعته. وإن كنت لم تتبعه بعد، فإني أسألك برأفة الله أن تفعل الآن، لكي تتمتع بضمائه «أنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد». ولعل الروح القدس العامل في العالم، بالتبكي على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة بهمس في أذنك قائلاً: «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم».

(١٠-١٢) يختتم النبي المرنم، هذا القسم من مزموه بالإشارة إلى الاختبارات التي يجتازها المرء في رحلة الإيمان. فهو عرضة للتجارب المتنوعة في مراحل حياته. والله يسمح بالتجارب لأجل تمحيص المؤمن. إنه يمحسه كما تمحص الفضة، رافعاً عليه عصا التأديب، لأجل تهذيبه وتزكية إيمانه بالصبر الذي له عمل تام في حياة المؤمن. لأنه ينشئ فيه الرجاء الحي الذي ينتصر على التجارب ويخرج معافي قادراً على احتمال المشقات، كجندي صالح ليسوع المسيح، أعد للجهاد ضد قوات البشر. هذا ما اختبره المرنم الحلو. إذ يقول «دخلنا في النار ثم أخرجتنا إلى الخصب».

التزنية

لَكَ الْحَمْدَ أَهْدِي وَكُلَّ الثَّنَا أَيَا بَارِيَّ الْعَالَمِينَ
لأنك أظهرت لي رحمةً وَفَوَّيْتَنِي يَا مُعِينُ
لَكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ ذِي أُمَّةٍ إِذَا سَمِعُوا كَلِمَتَكَ
وَفِي طُرُقِ عَدْلِكَ قَدْ رَنَّمُوا وَقَدْ عَرَفُوا رَحْمَتَكَ

هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (الإنجيل بحسب يوحنا ٣: ١٦).

إن محبة الله الأب هي أصل ولادتنا الجديدة، بالماء والروح، وهي أساس مصالحتنا مع الله، بأخذ يسوع صفة حمل الله وارتفاعه على الصليب، ليرفع عنا خطايانا. فقد سر الله أن يبذل ابنه الوحيد لفداء الإنسان وخلصه. إنه لم يرسله إلى العالم وله فقط مطلق السلطان لإقامة السلام بين السماء والأرض، بل بذله، أي سمح بألامه وموته بديلاً عنا، كالذبيحة الكفارية العظمى.

والأكثر من هذا إنه جاء ليكون شارعاً وموصياً للشعوب (إشعياء ٥٥: ٤). ورسول اعترافنا ورئيس كهنته (عبرانيين ٣: ١) وليكون سلامنا (أفسس ٢: ١٤) ورأس الكنيسة (أفسس ٥: ٢٣) ورأساً فوق كل شيء للكنيسة (أفسس ١: ٢٢) وهكذا نجد فيه كل احتياجنا.

(٦ و ٧) إن من أولى واجبات الكنيسة أن تظهر قوة الله للناس جميعاً. وأن تشهد لعمل نعمته فيها. أولاً: بسلكها بنيتها في المحبة صدوعاً بأمر المسيح «وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تَحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً... لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٣: ٣٤، ١٥: ١٣-١٤).

«أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. ثانياً: بسلكهم كأولاد نور، وقد قال المسيح لا يُمكنُ أَنْ تَخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (الإنجيل بحسب متى ٥: ١٤-١٦).

إن أولاد النور، هم الذين يتمثلون بيسوع نور العالم، فيسلكون في نوره بدون تعثر مبتهجين، لأنهم في الجو الذي يناسب طبيعتهم. ولأنهم يعيشون في المناخ الروحي الذي يغذي حياتهم. ويمتن شركتهم مع الله، الذي هو النور، نور الحياة، ونور الخلود. فابناء النور، هم أبناء الله الذين صاروا بالميلاد الثاني شركاء الطبيعة الإلهية.

في غمرة فرحها بخلاص الله عدلت عن مهمتها التي من أجلها جاءت إلى البئر ولعلها قدّرت أن المسيح بعد تناول طعامه سيستأنف رحلته، وهي كانت حريصة على أن ينال أبناء بلدها ما نالته هي من يمين الرب فهرعت إليهم. هذا هو التصرف الواجب أن يتخذه العاملون لإذاعة اسم المسيح. أن لا يشغلوا أنفسهم بأي شيء يعوقهم عن القيام بمهمتهم.

كل شهادة مخلصه لعمل الرب في حياتنا تؤتي ثمارها، وهذا ما حدث لشهادة السامرية. فمع أنه كان من الطبيعي أن لا يتجاوب الناس مع دعوة امرأة عاشت ماضيها مستهترة ومستهينة بالمقدسات. ولكن نداءها كان نداء القلب الذي طهره المسيح، ولهذا حمله الروح القدس، فحرك الضمائر وأثار فيها العطش إلى خلاص الله. فخرجوا من المدينة وأتوا إليه. هذه قاعدة الخلاص. أن كل من يريد أن يعرف المسيح وينال بره يجب أن يخرج إليه.

لست أدري أي أثر أحدثته شهادة داود لدى سامعي شهادته ولكنني أعلم أن شهادته عملت كثيراً في الأجيال المتعاقبة. وقد حسن في عيني الله أن تكتب في الكتاب الإلهي، لكي نتبارك بها، ونقتدي بالمرنم الحلو فنخبر بفضائل الله، صدوعاً بأمر المسيح القائل «وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ» (أعمال الرسل ١: ٨). أدّ الشهادة للرب يا أخي، غير أبه بمركزك الوضيع، أو علومك البسيطة. فالرب يستخدم الآنية الضعيفة ويبدأ بها عملاً صالحاً ويتممه. فإن فتاة صغيرة خادمة أرشدت سيدها قائد جيش الآراميين إلى أليشع النبي، فنال على يده الشفاء من مرض البرص (ملوك الثاني ٥: ٢).

يا أخي ليس لك أن تجادل في أمر الخير الجزيل الذي يحصل عندما يتكلم المختبر عن المسيح. فإن السامرية لم تتكلم كثيراً عن المسيح، ولكنها تكلمت بلغة الاختبار «قال لي كل ما فعلت» وهذه العبارة كانت كافية لإخراج أهل مدينة بأسرها من جحور الخطية، ليذهبوا إلى يسوع وينالوا البر من يمينه.

(١٧) يبدو أن المرنم اعتاد على الصلاة بالصوت المسموع، لأن كلمة تبجيل هنا تفيد معنى الارتفاع والتعظيم. وقد كان المتعارف عليه قديماً أن آيات التبجيل تُتلى بصوت عال. لكن عبارة المرنم لا تقيدك بشيء. ففي المسيحية، لا توجد قيود على العبادة، لأن تعليم المسيح

مَقَامُكَ عَالٍ وَمَنْ يَتَضَعُ
وَأَمَّا الَّذِي قَامَ مُسْتَكْبِراً
إِذَا جُرْتُ فِي الْأَضِيقِ أَحِيَا
وَسُخِّطَ الْأَعَادِي إِذَا أَرَجَفُوا
تَخَلَّصَنِي بِالْيَمِينِ الَّتِي
فَمِنْ فَيْضِ نِعْمَتِكَ لِي رَحْمَةٌ

الصلاة:
يا إلهنا الحلي المبارك، لك حمدنا وشكرنا الدائم لأجل محبتك العجيبة التي بها أحببتنا، فهيات لنا خلاصاً. ونشكرك لأجل مشيئتك التي تريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. ونشكرك لأجل التجارب التي تسمح أن نمر بها، لأجل امتحاننا وتمحيص إيماننا. قو إيماننا وثبتنا لكي لا نزل. قو فينا نعمة الصبر، حتى نرتفع فوق المضايقات. ولك الشكر الدائم. آمين.

السؤال:
٢٩ - ما هي الآية التي لمست قلبك من هذه القراءة؟

الْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ - تتمة

١٦ هَلُمَّ أَسْمَعُوا فَأَخْبِرْكُمْ يَا كُلَّ الْخَائِفِينَ اللَّهُ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي. ١٧ صَرَخْتُ إِلَيْهِ بِفَمِي وَتَبَجَّيْتُ عَلَى لِسَانِي. ١٨ إِنْ رَاعَيْتُ إِنَّمَا فِي قَلْبِي لَا يَسْتَمِعْ لِي الرَّبُّ. ١٩ لَكِنْ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ. أَصْغَى إِلَى صَوْتِ صَلَاتِي. ٢٠ مُبَارَكُ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يُبْعِدْ صَلَاتِي وَلَا رَحْمَتَهُ عَنِّي.

(١٦) يستهل المرنم هذا القسم من المزمور بدعوة الناس للالتفاف حوله لبيحطهم علماً باختباراته الروحية مع الله، وليخبرهم كم صنع الرب به ورحمه. ولعله شاء أن ييسر اختباراته كشهادة، متوخياً أن يوجد فيهم الرغبة لتسليم حياتهم للرب، ليحصلوا في دورهم على هذه الاختبارات، المقوية للإيمان.

إن شهادة المرنم هذه تذكرني بشهادة المرأة السامرية. فهذه السيدة بعد مقابلتها مع يسوع على بئر يعقوب، حيث أدركها بر المسيح بالغفران، تركت جرتها وجرت إلى بلدها سوخار بقدمين تسبقان الأجنحة وراحت تركض في شوارعها منادية «هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت أعل هذا هو المسيح؟»

للوصية القائلة «إِنَّ فَاللهَ الْآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَرْمَنَةِ الْجَهْلِ» (أعمال ١٧: ٣٠) ولكن حين يقر الإنسان بخطاياها، يسرع الله إلى سترها بالغفران وينساها إلى الأبد.

(١٩ و ٢٠) يختم المرنم هذا المزمور المجيد ببسط اختباره الأخير، وهو أن الله، الذي غفر إثمه وستر خطيئته استمع إليه، وهو لا شك سيستجيب لدعائه أيضاً. وشعوراً منه بهذا الانعام الإلهي، انتقل إلى التسبيح ورفع آيات الحمد.

الترنيمه

هَلُمَّ هَلُمَّ أَيَا مُذْنِبٍ
فَمَنْ أَجْلِكَ فَاصْ مَاءَ الْحَيَاةِ
فُدَيْتَ فَلَا تَمَنَّ يُطَلَّبُ
وَنَلَّتْ أَلْفَدَى هِبَةً وَالنَّجَاةُ
هَلُمَّ سَرِيعاً لِمَاذَا تَهَيَّنُ
مَحَبَّةَ خَالِقِكَ الْمُنْعِمِ؟
وَتَأْتِي أَعْتِسَالاً وَهَذَا الْمَعِينُ
جَرَى فَتَطَهَّرْ بِذَلِكَ أَلْدَمَّ
هَلُمَّ سَرِيعاً أَيَا مَنْ سَعَى
فَرَحْمَتُهُ لَمْ تَزَلْ دَاعِيَةً
وَلَكِنَّ فِي الْقَبْرِ لَنْ يُسْمَعَا
دُعَاهَا فَتَتَرَكُهُ مَاضِيَةً
هَلُمَّ فَقَدْ حَانَ قُرْبُ الزَّمَانِ
إِذِ الْأَرْضُ تُنْحَلُّ ثُمَّ السَّمَاءُ
وَجْتَمِعَ النَّاسُ حَتَّى تُدَانَ
فَمَنْ ذَا يُنْجِيكَ يَوْمَ الْقَضَاءِ

الصلاة:

يا محباً بذل نفسه عن جنسنا الأثيم. امح اثمي أيها الرب العظيم. إنني أعترف لك بذنبي، لأنني كثيراً ما امتلأت هواناً، وكثيراً ما كسرت وصاياك. أسألك أيها المنعم الكريم أن تزيدني إيماناً، وتمنحني قوة لمغالبة الميول المنحرفة في. أنت قبلت السامرية، وغفرت لها ماضيها، فانطلقت تحدث بفصائلك وتدعو الناس إليك. اعطني هذا الامتياز أن تصبح الدعوة من أولى رغائبي. آمين.

السؤال:

٣٠ - ما هو وجه الشبه بين داود والسامرية؟

الْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالسُّتُونَ - الشكر والبركة

الْيَتَحَنَّنْ اللهُ عَلَيْنَا وَلْيَبَارِكْنَا. لِيُنْزِرَ بَوَجْهِهِ عَلَيْنَا.
سِلاهُ. ٢ لِكَيْ يُعْرِفَ فِي الْأَرْضِ طَرِيقَكَ وَفِي كُلِّ الْأُمَّمِ
خَلَاصَكَ. ٣ يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ
كُلُّهُمْ. ٤ تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ الْأُمَّمُ لِأَنَّكَ تَدِينُ الشُّعُوبَ
بِالْإِسْتِقَامَةِ، وَأُمَّمَ الْأَرْضِ تَهْدِيهِمْ. سِلاهُ. ٥ يَحْمَدُكَ
الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمْ. ٦ الْأَرْضُ

لقد أعطانا داود صورة كريمة للتغيير، الذي يطرأ على الإنسان. حين يكف عن ممارسة خطاياها وكتمانها، ويخرج إلى نور حضرة الله معترفاً بها قدامه. ومثل هذا الشخص هو وحده الذي، يعرف غبطة غفران الإثم وستر الخطايا. هذه الصورة الرائعة نراها من خلال قوله: «طوبى للذي غفر إثمهُ وَسَتَرَتْ خَطِيئَتُهُ. طوبى لرجل لا يحسب له الربُّ خَطِيئَةً، وَلَا فِي رُوحِهِ غَشٌّ» (مزمور ٣٢: ١ و ٢).

حينما يحاول إنسان أن يستر خطاياها ويكتتمها، فهو يضاعف بنود قائمة الخطايا المرعية، لأنه يأبى الخضوع

(١٨) قبل أن يختم المرنم هذا المزمور، يطلع علينا بدرس في الصلاة، من صميم اختباره، ومفاد هذا الدرس هو أن الخطية تعطل الصلاة «إن راعيت إثمًا في قلبي لا يستمع لي الرب». ويبدو هذا الدرس أكثر وضوحاً في كلام الله بإشعياء النبي «أَتَأْمُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ» (إشعياء ٥٩: ٢). في الحقيقة إن مراعاة الخطية هي غلطة كبيرة وخطيرة. ولكن الناس درجوا على النفور من الاعتراف بحالتهم وتصرفاتهم. ويبدو أنه من الطبيعي للإنسان الساقط أن يخفي عاره، ظناً أن ذلك يجنبه نتائج خطاياها. وقديماً حاول أبوانا الأولان ستر عرهما بمآزر من أوراق التين.

أما الوسيلة لضمان راحة الضمير فهي الاعتراف لله. لأن الله يقابل الاعتراف بالغفران (رسالة يوحنا الأولى ١: ٩) وأساس هذا الغفران هو كفارة ربنا يسوع المسيح. طبعاً إن الاعتراف الذي أشار إليه الرسول يوحنا، يجب أن يقترن بالتوبة الحقيقية. لذلك يقول حكيم الكتاب المقدس «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لَا يَنْجِحُ، وَمَنْ يُقَرُّ بِهَا وَيَتَرَكُّهَا يُرْحَمُ» (أمثال ٢٨: ١٣).

أَعْطَتْ غَلَّتَهَا. يُبَارِكُنَا اللَّهُ إِلَهَنَا. ٧ يُبَارِكُنَا اللَّهُ، وَتَخْشَاهُ
كُلُّ أَقَاصِي الْأَرْضِ.

وقد شهد كثيرون، أنهم كلما ازدادوا حمداً لله، تكشفت لهم ينابيع من البركات، وخبروا نواح جديدة في ذات الله وصفاته، ما كانوا يعرفونها من قبل. وقد صارت سبباً في اتساع آفاق تفكيرهم، وازديادهم قرباً من الله وإدراكاً لأبعاد محبته.

(١ و٢) يرجح أن هذا المزمور، كان يتلى في وقت الحصاد، إعراباً عن شكر الشعب لله لأجل إحساناته الوفيرة. وقد بدأ داود المزمور بطلبه حارة إلى الله لكي يتحنن ثم يبارك. وهذا ترتيب جميل، أن يتحرك قلب الله الغني بالرحمة أولاً ثم ينزل بركاته على المؤمن استجابة لحاجته المعبر عنها بالصلاة. وأعظم هذه البركات إطلاقاً معرفة يسوع الذي يعطي كل من يقبله نور الحياة، فيسلك سبيله بدون تعثر.

ولعل أسمى درجات الحمد، ما يرتفع من قلوب المسيحيين حين يمارسون فريضة العشاء الرباني الممثل بالخبز والخمر، اللذين يتحولان إلى معنى روحي عند اتصاليهما بيسوع المسيح. لذلك استعملوا كلمة «أفخارستيا» للتعبير عن الشكر الذي يبلغ حينئذ ذروة الحمد. ونعلم أن المسيحيين في ممارستهم هذا العشاء الروحي، يتصل بعضهم ببعض، عبر أجيال التاريخ وفي كل البلدان.

قال أحد العلماء اليهود: النور هو اسم المسيا، كما هو مكتوب في دانيال ٢: ٢٢ «وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ النُّورُ». والمسيح إذ يدعو نفسه نوراً فإنه:

وكل مسيحي في أي زمان أو مكان يمارس هذا السر، يوجد لنفسه علاقة مع جميع المؤمنين الذين صنعوا أو يصنعون هذه الذكرى. وكلهم في شركة مع المسيح، الذي جعل للقسم المستعمل من الخبز والخمر معنى جديداً وقيمة جديدة.

١. يعبر عما هو في حد ذاته، إنه سام ومجيد جداً.
٢. يعبر عما يفعله للعالم، فهو ينبوع النور، الذي ينير كل إنسان. بدون الشمس يصبح العالم مزبلة، وهكذا بدون المسيح يلفه ظلام الشر.

(٤ و٥) حين أكمل يسوع الفداء بموته، وانتصر على الهاوية والموت بقيامته ورفع في المجد ليجلس في عرش الله شفيعاً وكاهناً إلى الأبد، اتسع مجال الحمد، إذ تحرر الإنسان ليقترّب إلى الله بالحمد والثناء. وهكذا استطاع الإنسان أن يمجّد الله، بفرح وابتهاج. لأن حكم الدينونة الذي وقع على كل إنسان رفع عن كل من يقبل يسوع مخلصاً، كما هو مكتوب «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رسالة رومية ٨: ١).

لا يكفي أن ننظر إلى هذا النور بل الخير لنا أن نتبعه ونؤمن ونمشي في ضوئه، فهو إله من إله، نور من نور. إنه سراج منير ليس لأعيننا فقط، بل لأرجلنا أيضاً. وإنها لسعادة، لمن يتبع المسيح، لأنه لا يترك محروماً من تعاليم النور المؤدية إلى الحياة الأبدية. إنه لا يمشي في الظلمة، ولا يسلك في الضلالات المؤدية إلى الهلاك. بل يكون له نور الحياة أي معرفة الله والتمتع به.

(٦ و٧) كان أبناء العهد القديم يطلقون هتافات المجد في عيد الحصاد، لأن الأرض أعطت غلتها. أما أبناء العهد الجديد فيفرحون لأنه عند ملء الزمان ولد لهم في بيت لحم مخلص هو المسيح الرب. ومنذ أن تجسد الكلمة في عمانوئيل ليصير الله معنا، دخل إلى الجنس البشري عامل جديد. هذا العامل المجيد أفسح وما زال يفسح المجال للإنسان لكي يمجّد الله، ويقترّب إليه. ومع ذلك كله فالإنسان ما زال خاطئاً ملتويّاً. وما لم يتعلم الإنسان كيف يمجّد الله بقبول يسوع مخلصاً فإنه سيبقى خاطئاً وبالتالي لن يتسنى له أن يمجّد الله لأجل خلاصه.

لم يضع يسوع نفسه جنباً إلى جنب مع سائر المعلمين. فهو لم يقل: أنا أعطي نوراً، بل أعلن نفسه أنه نور. بمعنى أنه ليس في وسعنا أن نحظى بالنور، إلا إذا قبلنا يسوع نفسه في قلوبنا. لأن فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس (الإنجيل بحسب يوحنا ١: ٤).

(٣) حينما يعرف الشعوب طريق الرب ويتمتعون ببركاته تتطلق أفواههم بالحمد والتسبيح. وقد عرف بالاختبار أن حمد الله يغير طبائع الناس، ويغير طبيعة الأشياء. ولكن الله لا يتغير، كما هو مكتوب «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهَبَةٍ تَأْتِي مِنْ قَوْفٍ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الْأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلَا ظِلٌّ دَوْرَانِ» (رسالة يعقوب ١: ١٧).

٣. ما هي الامتيازات التي خص الله بها الإنسان؟ (مزمور ٨)
٤. عما يعبر المزمور الثالث عشر وماذا تناولت تساؤلات داود؟ (مزمور ١٣)
٥. ما هو الوصف الذي أطلقه المرنم على الكفرة؟ (مزمور ١٤)

الترنيمه

٦. ماذا تتعلم من اختبارات داود التي أشار إليها في هذا القسم من المزمور ١٨؟
٧. كيف رأى داود مجد الله بحسب نص هذا المزمور؟ (مزمور ١٩)
٨. ماذا تتعلم من هذه الآيات الكريمة؟ (مزمور ١٩)
٩. ماذا تعمل كلمة «يرد نفسي» في الاصل. وما السبيل التي سلكها المسيح، وطلب إلينا أن نسلكها؟ (مزمور ٢٣)
١٠. ماذا ترى في العصا والعكاز؟ (مزمور ٢٣)
١١. ما هي البركات التي سألتها داود من الله؟ (مزمور ٢٥)
١٢. من هو الإنسان الخائف الرب؟ (مزمور ٢٥)
١٣. ماذا نتعلم من اختبارات داود، التي بسطها في هذه الآيات؟ (مزمور ٢٧)
١٤. ماذا طلب النبي في صلاته؟ (مزمور ٢٧)
١٥. كيف كانت حال داود عندما نظم المزمور ٣٢؟
١٦. بماذا أجاب الرب على صلاة داود؟ (مزمور ٣٢)
١٧. صف حال داود بالاستناد إلى النصوص أعلاه؟ (مزمور ٣٨)
١٨. ماذا تتعلم من تأملات هذا اليوم؟ (مزمور ٣٨)
١٩. ماذا تعرف عن حيوان الإيل؟ (مزمور ٤٢)
٢٠. بماذا امتاز داود كنبى؟ (مزمور ٤٢)
٢١. ما هي ميزات المسيحية بالنسبة للنقمة؟ (مزمور ٤٣)
٢٢. ما هي أشد الضيقات التي تقع على الإنسان، وكيف يستطيع الإنسان أن يتخلص منها؟ (مزمور ٤٦)
٢٣. ما هي وسائل النعمة التي اعددها الله للبشر؟ (مزمور ٤٦)
٢٤. ما الفرق بين ذبائح العهد القديم والعهد الجديد؟ (مزمور ٥٠)
٢٥. ماذا رأيت في هذا المزمور؟ (مزمور ٥١)
٢٦. ماذا كانت طلبه داود في هذا القسم من صلاته؟ (مزمور ٥١)
٢٧. ما هي الأمور التي آثاها داود في هذا القسم من صلاته؟ (مزمور ٥١)
٢٨. ما هي الدروس التي تتعلمها من قراءة اليوم؟ (مزمور ٦٣)

يُشْفِقُ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَلْيَبَارِكْنَا كُلَّ حِينٍ
تَحْمَدُ اللَّهُ الْبَرِيَاءُ
تَفْرَحُ النَّاسُ جَمِيعًا
هُوَ بَيْنَ الشُّعْبِ يَقْضِي
وَشُعُوبَ الْأَرْضِ يَهْدِي
نَحْمَدُ اللَّهَ جَمِيعًا
أَعْطَتِ الْأَرْضُ غِلَالاً
فَلْيَفِضْ خَيْرًا عَلَيْنَا
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَخْشَى
إِسْمَهُ السَّامِي الْعَظِيمُ

الصلاة:

يا إلهنا الصالح، نتوسل إليك أن تتحنن علينا وتشفق وترحم جبلتنا. أنر بوجهك علينا وارحمنا. أنقذ عالمنا المسكين من ظلمة الشر المخيمة عليه. بانتشار إنجيل المسيح الذي هو نور للسبيل لكل طالب الله. فتلهج شفاه كثيرة بحمدك أيها الرب الإله. ويتمجد فتاك يسوع بخلاص الملايين من الهلاك. استجب منعماً إكراماً لاسمك العظيم أمين.

السؤال:

٣١ - ماذا كان قصد المسيح من الإعلان بأنه نور العالم؟

مسابقة: يا رب افتح شفتي

إن جاوبت على أربعة وعشرين سؤالاً من الأسئلة الواحدة والثلاثين المأخوذة من المزمور الأول إلى السابع والستين، نرسل لك أحد كتبنا المذكورة في قائمة المطبوعات جائزة.

١. بما شبه كاتب الزمير كلا من البار والشرير؟ (مزمور ١)
٢. كيف كانت حال المرنم، حين نظم هذا المزمور؟ (مزمور ٦)

٢٩. ما هي الآية التي لمست قلبك من هذه القراءة؟

(مزمور ٦٦)

٣٠. ما هو وجه الشبه بين داود والسامرية؟ (مزمور ٦٦)

٣١. ماذا كان قصد المسيح من الإعلان بأنه نور العالم؟

(مزمور ٦٧)

Call of Hope
P.O.Box 10 08 27
D-70007Stuttgart
Germany